الفصل السابع
مقتـــل عثمـــان بن عفـــــان رضي الله عنه

المبحث الأول
اشتعـــال الفتنـــة

نجح الموتورون الحاقدون الكاذبون في إزاحة الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة، وعيّن عثمان رضي الله عنه سعيد بن العاص والياً جديداً على الكوفة، وعندما وصل سعيد إلى ولايته صعد المنبر، وبعدما حمد الله وأثنى عليه، قال: والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره، ولكني عندما أمرني عثمان، لم أجد بدّاً من التنفيذ، ألا وإن الفتنة قد أطلعت رأسها فيكم، ووالله لأضربنَّ وجهها، حتى أقمعها، أو تغلبني وإني رائد نفسي اليوم[1].

واطلع سعيد على أحوال الكوفة، وعرف توجهات الناس فيها، وأدرك تعمُّق الفتن فيها، وضُلوع مجموعة من الخوارج والموتورين والحاقدين وأعداء الإسلام في التآمر والكيد والفتنة، وسيطرة الرعاع والغوغاء والأعراب على الرأي فيها[2]، وكتب سعيد رسالة إلى أمير المؤمنين عثمان يخبره فيها بالأوضاع المتردية في الكوفة، ومما قال فيها: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وقد غُلب فيها أهل الشرف، والسابقة، والقِدْمة، والغالب على تلك البلاد روادف رَدَفتْ، وأعراب لحَتْ حتى ما ينظر فيها إلى ذي شرف وبلاء...! فردّ عليه عثمان رضي الله عنه برسالة، طلب منه فيها إعادة ترتيب أوضاع أهلها، وتصنيفهم على أساس السبق والجهاد، وتقديم أهل العلم والصدق والجهاد على غيرهم، ومما قال له فيها: فضِّل أهل السابقة والقدمة، ممن فتح الله على أيديهم تلك البلاد، واجعل الذين نزلوا البلاد بعد فتحها من الأعراب تبعاً لأولئك السابقين المجاهدين، إلا أن يكون السابقون تثاقلوا عن الجهاد والحق، وتركوا القيام به، وقام به من بعدهم!

(1) تاريخ الطبري (5/ 280).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(122).

واحفظ لكل إنسان منهم منزلته، وأعطهم جميعاً تعطهم بالحق، فإن المعرفة بالناس يتحقق بها العدل بينهم[1]، وقام سعيد يتنفيذ توجيهات عثمان رضي الله عنه وأخبر الخليفة بما فعل، وجمع عثمان أهل الحل والعقد في المدينة، وأبلغهم بأوضاع الكوفة، ورسوخ الفتنة فيها، وإجراءات سعيد بن العاص لمواجهتها فقالوا: أصبت بما فعلت، ولا تسعف أهل الفتنة بشيء، ولا تقدمهم على الناس، ولا تطعمهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا تولى الأمور من ليس أهلاً لها، لم يقم بها بل يفسدها. فقال عثمان لهم: يا أهل المدينة، إن الناس قد تحركوا للفتنة، فاستعدوا لمواجهتها، واستمسكوا بالحق، وسوف أخبركم بأخبارها وأنقلها لكم أوّلاً بأوّل[2].

أولاً: تأذي أصحاب الأهواء من الإصلاح:

تأذّى الرعاع وأجلاف الأعراب من تقديم أصحاب السابقة والجهاد، والبلاء والعلم والتقوى في المجالس والرئاسة والاستشارة، وصاروا يعيبون على الولاة تقديم هؤلاء عليهم، و واستشارتهم دونهم ويعتبرونه تمييزاً، وجفوة وإقصاء لهم، واستغل الحاقدون الموتورون هذا الأمر في نفوسهم، وغرسوا فيهم كُره الخليفة والدولة، ورفض أعمال الوالي سعيد بن العاص، ونشر الإشاعات ضده بين الناس.

ورفض عامة الناس في الكوفة كلام الموتورين الخارجين فسكت هؤلاء الحاقدون، وصاروا يُخفون شبهاتهم ولا يظهرونها، لرفض معظم المسلمين لها، ولكنهم كانوا يُسِّرون بها إلى مَن يؤيدهم من الأعراب أو الغوغاء أو المعاقبين المغررين[3]، وكان أعداء الإسلام الموتورون على تعدد اتجاهاتهم ونزعاتهم يتآمرون على الإسلام والمسلمين، وينشرون الإشاعات الكاذبة ضد الخليفة والولاة، ويستثمرون الأخطاء التي تصدر عن بعضهم في تهييج العامة ضدهم، ويزيدون عليها الكثير من الافتراءات والتزويرات، وهم يهدفون من ذلك إلى نشر الفوضى وتعميق الفرقة بين المسلمين، وذلك لتغذية غيظهم وحقدهم على الإسلام الذي قضى على أديانهم الباطلة، و وهدم نظام الحكم الإسلامي، الذي حطّم دولهم، وقضى على جيوشهم، وجنَّد هؤلاء الأعداء

(1) تاريخ الطبري (5/ 280).
(2) تاريخ الطبري (5/ 281).
(3) الخلفاء الراشدون للخالدي.

لتحقيق أهدافهم الموتورين من الرعاع والمذَّج والبُلهاء، والتفَّ حولهم الحاقدون ممن أدّبهم أو حدّهم أو عزرّهم الخليفة أو أحد ولاته، ونظم هؤلاء الأعداء (جمعية سرية) خبيثة، جعلوا أعضاءها هؤلاء الذين استجابوا لهم، وجعلوا لهم أتباعاً في المدن الكبيرة والأقاليم العديدة، وكوَّنوا شبكة اتصالات سرية بينهم[1]، وكانت أهم فروع جمعيتهم الخبيثة في: الكوفة، والبصرة، ومصر، ولهم بعض العناصر في المدينة المنورة، والشام[2].

ثانياً: عبد الله بن سبأ اليهودي على رأس العصابة:

أوصى ابن سبأ أتباعه المجرمين في جمعيته السرية الخبيثة، المنتشرين في بلاد المسلمين، فقال لهم: انهضوا في هذا الأمر، فحرِّكوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وولاتكم الذين يعينهم الخليفة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتستميلوا الناس إليكم، وادعوهم إلى هذا الأمر[3]، وبثّ عبد الله بن سبأ دعاته في الأمصار، وكاتب أتباعه الذين أفسدهم في الأمصار، وضمّهم إليه وكاتبوه، وتحرّك أتباعه في البلدان بدعوتهم، ودعوا مؤيِّديهم في السّرّ إلى ما هم عليه من الخروج على الولاة والخليفة والعمل على عزل عثمان عن الخلافة، وكانوا في الظاهر يُظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليؤثِّروا في الناس، ويستميلوهم ويخدعوهم، وصار أتباع ابن سبأ يؤلفون الأكاذيب، والافتراءات عن عيوب أمرائهم وولاتهم، وينشرونها في كتب يرسلها بعضهم إلى بعض في الأمصار، وصار أهل كل مصر منهم يكتبون كتباً بهذه الأكاذيب إلى أهل مصر آخر، فيقرأ أهل كلِّ مصر تلك الكتب المزورة على الناس عندهم، فيسمع الناس عندهم عن عيوب وأخطاء الوالي في ذلك البلد، فيقولون: إنا لفي عافية مما ابتُلي به المسلمون في ذلك البلد ويصدقون ما يسمعون! وبذلك أفسد البثيون في الأرض، وأفسدوا المسلمين، ومزّقوا كلمتهم، وزعزعوا أخوَّتهم ووحدتهم، وهيَّجوا الناس على الولاة والأمراء، ونشروا الافتراءات ضد الخليفة عثمان نفسه، وكانوا بهذه الجرائم المنظمة والمدروسة بمهارة يريدون غير ما يظهرون، ويُسِّرون غير ما يعلنون،

(1) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(124).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(124).

(3) تاريخ الطبري (5/ 348).

ويهدفون إلى عزل عثمان، والقضاء على دولة الإسلام[1].

توَّجه ابن سبأ إلى الشام ليفسد بعض أهلها، ويؤثر فيهم، ولكنه لم ينجح في هدفه الشيطاني، فقد كان له معاوية رضي الله عنه بالمرصاد[2]، ودخل البصرة ليجنِّد الأتباع له من المارقين أو الحاقدين أو الرُّعاع البُلَهاء، وكان والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، وكان حازماً عادلاً صالحاً، ولما وصل ابن سبأ البصرة، نزل عند رجل خبيث من أهلها كان لصّاً فاتكاً، هو حكيم بن جبلة[3].

وبلغ عبد الله بن عامر أن رجلاً غريباً نازلٌ على حكيم بن جبلة، وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصاً، وعندما كانت تعود جيوش الجهاد إلى البصرة، كان حكيم يتخلَّف عنها، ليسعى في أرض فارس فساداً، ويُغير على أرض أهل الذمة، ويعتدي على أرض المسلمين، ويأخذ منها ما يشاء، فشكاه أهل الذمة والمسلمون إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر، وقال له: احبس حكيم بن جبلة في البصرة، ولا تتركه يخرج منها حتى تأنس منه رُشداً، فحبسه ابن عامر في بيته، وكان لا يستطيع أن يخرج من البصرة، وبينما كان اللصُّ ابن جبلة تحت الإقامة الجبرية في بيته، نزل عليه اليهودي عبد الله بن سبأ، واستغل ابن سبأ زعارة ابن جبلة وانحرافه وحقده ولؤمه، فجنَّده لصالحه، وصار ابن جبلة هو رجل ابن سبأ في البصرة، وصار ابن جبلة يقدِّم لابن سبأ أمثاله من المنحرفين والموتورين، فيغرس ابن سبأ في نفوسهم أفكاره، ويجنِّدهم بجمعيته السرية. ولما علم ابن عامر بابن سبأ، استدعاه، وقال له: ما أنت؟ قال ابن سبأ: أنا رجل من أهل الكتاب، رغب في الإسلام فأسلم، ورغب في جوارك فأقام عندك.

قال ابن عامر: ما هذا الكلام الذي يبلغني عنك؟ اخرج عني، أخرجه ابن عامر من البصرة، فغادرها ابن سبأ، بعد أن ترك فيها رجالاً وأتباعاً له، وجعل فيها فرعاً لحزبه السبئي اليهودي، ذهب ابن سبأ إلى الكوفة، فوجد فيها رجالاً من المنحرفين، جاهزين لاستقباله، فجنّدهم لجماعته وحزبه، ولما علم به سعيد بن العاص أخرجه من الكوفة، فتوجه إلى مصر، فأقام فيها، وعشَّش فيها وباض، وفرّخ فيها وأفسد، واستمال أناساً

(1) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(126).

(2) المصدر نفسه، ص(126).

(3) المصدر نفسه، ص(128).

هناك من الرُّعاع والبلهاء، ومن الحاقدين والموتورين، ومن العصاة والمذنبين، وكان ابن سبأ يرتب الاتصالات السرية بين مقرّه في مصر، وبين أتباعه في المدينة والبصرة والكوفة، ويتحرك رجاله بين هذه البلدان[1]، واستمرت جهود ابن سبأ وأعوانه حوالي ست سنوات، حيث بدأوا أعمالهم الشيطانية سنة ثلاثين، ونجحوا في آخر سنة خمس وثلاثين في قتل الخليفة عثمان، واستمر إفسادهم طيلة خلافة علي رضي الله عنه، وقرَّرَ (البيون) أن تكون بداية الفتنة في الكوفة[2].

ثالثاً: أهل الفتنة يفسدون في مجلس سعيد بن العاص:

في يوم من أيام سنة ثلاث وثلاثين جلس سعيد بن العاص، في مجلسه العام، وحوله عامة الناس، وكانوا يتحدثون ويتناقشون فيما بينهم، فتسلَّلَ هؤلاء الخوارج من البيين إلى المجلس، وعملوا على إفساده، وعلى إشعال نار الفتنة.

جرى كلام وحوار في المجلس بين سعيد بن العاص، وبين أحد الحضور، وهو (خُنيس بن حُبيش الأسدي)، واختلفا على أمر، وكان سبعة من الخوارج، أصحاب الفتنة جالسين: منهم جندب الأزدي، الذي قتل ابنه السارق بسبب تورطه في قضية قتل، ومنهم الأشتر النخعي، وابن الكواء، وصعصعة بن صوحان، فاستغل أصحاب الفتنة المناسبة، وقاموا بضرب خُنَيس الأسدي في المجلس، ولما قام أبوه يساعده، وينقذه، ضربوه، وحاول سعيد منعهم من الضرب، فلم يمتنعوا، وأُغمي على الرجل وابنه من شدة الضرب، وجاء بنو أسد للأخذ بثأر أبنائهم، وكادت الحرب تقع بين الفريقين، ولكن سعيداً تمكن من إصلاح الأمر[3]، ولما علم عثمان بالحادثة؛ طلب من سعيد بن العاص أن يعالج الموضوع بحكمة، وأن يضيِّق على الفتنة ما استطاع.

ذهب الخوارج المفتونون إلى بيوتهم، وصاروا ينشرون الإشاعات ويُذيعون الافتراءات والأكاذيب ضدَّ سعيد، وضد عثمان، وضدَّ أهل الكوفة ووجوهها، فاستاء أهل الكوفة منهم، وطلبوا من سعيد أن يعاقبهم، فقال لهم سعيد: إن عثمان قد نهاني عن ذلك، فإذا أردتم ذلك فأخبروه، وكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان بشأن

(1) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(129).
(2) المصدر نفسه، ص(130).
(3) تاريخ الطبري (5/ 323).

هؤلاء النفر، وطلبوا منه إخراجهم من الكوفة، ونفيهم عنها، فهم مفسدون مخرِّبون فيها، فأمر عثمان واليه سعيد بن العاص، بإخراجهم من الكوفة، وكانوا بضعة عشر رجلاً، وأرسلهم سعيد إلى معاوية في الشام بأمر عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية بشأن هؤلاء فقال له: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة، فَرُعْهُم، وأخِفْهم وأدِّبهم وأقم عليهم، فإن آنست منهم رشداً فاقبل منهم[1]، ومن الذين تمّ نفيهم إلى الشام، الأشتر النخعي، وجندب الأزدي، وصعصعة بن صوحان، وكميل بن زياد، وعمير بن ضابئ، وابن الكواء[2].

رابعاً: أهل الفتنة منفيُّون عند معاوية:

لما قدموا على معاوية رحّب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يُجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم. فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم، وحويتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً، وإن قريشاً لو لم تكن لعدتم أذلة كما كنتم[3].

كان عثمان رضي الله عنه يدرك أن معاوية للمعضلة، فله من فصاحته وبلاغته، وله من حلمه وصبره، وله من ذكائه ودهائه، ما يواجه به الفتن، ومن أجل ذلك ما إن تقع المعضلة حتى يرسلها لابن أبي سفيان كي يحلها، وفعلاً بذل معاوية رضي الله عنه ما بوسعه من أجل إقناع هؤلاء النفر، أكرمهم أولاً، وخالطهم وجالسهم، وعرف سرائرهم من خلال هذه المجالسة قبل أن يحكم عليهم بما نقلوا عنهم، وبعد أن أزال الوحشة عنهم، وأزال الكلفة بينه وبينهم، لاحظ أن النعرة القبلية هي التي تحركهم، وأن شهوة الحكم والسلطة هي التي تثيرهم، فكان لابد أن يلج عليهم من زاويتين اثنتين:

الأولى: أثر الإسلام في عزة العرب.

الثانية: دور قريش في نشر الإسلام وتحمل أعبائه.

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 324).

(2) الخلفاء الراشدون، ص(131).

(3) تاريخ الطبري (5/ 324).

فإن كان للإسلام أثر في تكوينهم، فلابد أن يرعووا لهذا الحديث، بعد هذا وضع أمامهم صورة لوضع العرب، وقد انقلبوا بالإسلام أمة واحدة تخضع لإمام واحد، وودعوا حياة الفوضى وسفك الدماء، والقبلية المتنة[1].

ويتابع معاوية حديثه معهم فيقول: إن أئمتكم لكم إلى اليوم جُنَّة[2] فلا تشذوا عن جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتملون منكم المؤونة، والله لتنتهين أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم، فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش، فإنها لم تكن أكثر العرب، ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجُنَّة، فإن الجُنَّة إذا اخترقت خلص إلينا. فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً. أُعْظِم عليك أمر الإسلام، وأذكِّرك به، وتذكرني الجاهلية؟ وقد وعظتك وتزعم لما يُجنك أنه يخترق، ولا ينسب ما يخترق إلى الجُنَّة، أخزى الله أقواماً أعظموا أمركم ورفعوا إلى خليفتكم[3].

وعرف معاوية أن الإشارة العابرة لن تقنعهم، لابد من شرح مسهب لواقع قريش أولاً فقال: افقهوا ولا أظنكم تفقهون أن قريش لم تعز في جاهلية ولا في إسلام إلا بالله ﷻ، لم تكن أكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأمحضهم أنساباً، وأعظمهم أخطاراً، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضاً، إلا بالله الذي لا يُستذل مَن أعز، ولا يوضع مَن رفع، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة، إلا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد بكيد إلا جعل الله خده الأسفل، حتى أراد الله أن ينتقذ مَن أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً، فكان خيارهم قريشاً، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم وهم على دينه، وقد حاطهم الله في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم؟ أف لك ولأصحابك، ولو أن متكلماً غيرك تكلم،

(1) معاوية بن أبي سفيان، منير الغضبان، ص(101).
(2) جنة: وقاية.
(3) تاريخ الطبري (5/ 324).

ولكنك ابتدأت، فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر قرى عربية، أنتنها نبتاً، وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشر، وألأمها جيراناً، لم يكنها شريف قط، ولا وضيع إلا سُبَّ بها، وكانت عليه هُجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً، وألأمه أصهاراً نزَّاع[1] الأمم، وأنتم جيران الخط وفعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ ونكبتك دعوته، وأنت نزيع شَطير[2] في عمان، لم تسكن البحرين، فتشركهم في دعوة النبي ﷺ، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام، وخلطك بالناس، وحملك على الأمم التي كانت عليك، أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتنزع إلى اللآمة والذلة ولا يضع ذلك قريشاً، ولن يضرهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم، فأغرى بكم الناس، وهو صارعكم، لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء الله، ولا أمراً أراده الله، ولا تدركون بالشر أمراً إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى، ثم قام وتركهم، فتذامروا، فتقاصرت إليهم أنفسهم[3].

وبذلك بذل معاوية كل طاقاته الفكرية والثقافية والسياسية لإقناعهم:

- عرض لهم أولاً أمر قريش في الجاهلية والإسلام.
- تناول قبائل هؤلاء النفر، ووضعها في الجاهلية، حيث كانت تعاني سوء المناخ ونتن المنبت من الناحية الطبيعية، ثم الذلة والتبعية لفارس من الناحية السياسية، إلى أن أكرمها الله بالإسلام فعزت بعد ذل، وارتفعت بعد هوان.
- تناول معاوية صعصعة بن صوحان خطيب القوم، وكيف تلكأ عن تلبية نداء الرسالة، وقد دخل قومه بها، ثم عاد وانضم إلى الإسلام، ورفعه الإسلام ثانية بعد انحدار.
- كشف معاوية رضي الله عنه مخططات صعصعة وأصحابه، وكيف يبغون الفتنة، ويبغون دين الله عوجاً.

وإن الشيطان هو وكر هذه الفتنة، ومحرك هذا الشر، وبذلك ربط تاريخ الأمة بالله

(1) النزاع: جمع نزيع وهو الغريب.
(2) الشطير: الغريب.
(3) تاريخ الطبري (5/ 326).

ثم بالإسلام والعقيدة، ثم كشف عن زيف هؤلاء النفر، وفضحهم عن آخرهم، وأبان عن مخططاتهم وصلتها بدعوى الجاهلية[1].

جلسة أخرى:

ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلاً ثم قال: أيها القوم ردوا عليّ خيراً، أو اسكتوا وتفكروا، وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم، وينفع عشائركم، وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه تعيشوا ونعشْ بكم.

قال صعصعة: لست بأهل لذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. فقال معاوية: أوَليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله، وطاعته، وطاعة نبيه ﷺ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا، قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي ﷺ، قال: إني آمركم الآن، إن كنت فعلت فأتوب إلى الله، وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه ﷺ، ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة، وأن توقروا أئمتكم، وتدلوهم على كل حسن ما قدرتم، وتعظوهم في لين ولطف في شيء إن كان منهم. قال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن من المسلمين مَن هو أحق به منك. قال معاوية: مَن هو؟ قالوا: مَن كان أبوه أحسن قدماً من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدماً منك في الإسلام. قال معاوية: والله إن لي في الإسلام قدماً، ولغيري كان أحسن قدماً مني، ولكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب بخط يده فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا هو خير. فمهلاً فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تقضي على رأيكم وأمانيكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره، فعاودوا الخير وقولوه. قالوا: لست لذلك أهلاً. قال معاوية: أما والله إن لله سطوات ونقمات، وإني لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان حتى تُحلَّكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نقم الله في عاجل الأمر، والخزي

(1) معاوية بن أبي سفيان، ص(111).

الدائم في الآجل، فوثبوا عليه فأخذوا بلحيته ورأسه، فقال: مه! إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأي أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن ضيعكم ليشبه بعضه بعضاً، ثم قام من عندهم فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت[1].

هذه المحاولة الأخيرة التي بذل فيها معاوية أمير الشام كل جهده، واستعمل حلمه وثقافته وأعصابه كي يثنيهم عن الفتنة، إنه يدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، والاستمساك بالجماعة، والابتعاد عن الفرقة، وإذ بهم يرفعون عقيرتهم قائلين: ليس لك أن تطاع في معصية الله[2]. وبحلمه الكبير، وصدره الواسع عاد فذكرهم بأنه لا يأمرهم إلا بطاعة الله، وعلى حد زعمهم فهو يثوب من المعصية إن وقعت، ثم يعود لدعوتهم إلى الطاعة والجماعة، والابتعاد عن تفريق كلمة الأمة. ولو كان الوعظ يجدي معهم لأمكن أن تتأثر قلوبهم لهذه المعاملة، وهذا اللطف، وهذا الحلم، لكنهم اعتبروا ذلك ضعفاً وتهاوناً منه، خاصة وهو يوجههم إلى أن يستعملوا الأسلوب الهادئ في العظة واللين في النصح، فوجدوا المجال رحباً أن يكشفوا عن مكنون قلوبهم. فقالوا: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن المسلمين مَن هو أحق به منك، وانتبه معاوية انتباهاً مفاجئاً إلى ما يكنّون، فأحب أن يتعرّف على جانب غامض عليه، لعلّ في هذا التعرف ما يوصله إلى مَن يحركهم، ويبث في ذهنهم الأراجيف المغرضة، ولكنهم أخفوا ما يكنّون، واكتفوا بالإشارة إلى أنهم يحبون أن يدع العمل لمن هو أفضل منه، ولمن أبوه أفضل من أبيه، ثم تحلَّم عليهم أكثر فأكثر، رغم الأسلوب الفج الذي سلكوه معه، وهم يأمرونه بأن يعتزل العمل، وهنا نجد لمعاوية جواباً مستفيضاً عن وجهة نظره في الحكم والإمارة والقيادة، وقد لخص معاوية إجابته في ست نقاط أساسية ومهمة:

1 ـ هي أن له قدماً وسابقة في الإسلام، فهو حامي ثغر الشام منذ وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

2 ـ إن هناك في المسلمين مَن هو أفضل منه وأكرم، وأحسن سابقة وأكثر بلاء، وهو يرى أنه أقوى مَن يحمي هذا الثغر الإسلامي العظيم ـ الشام ـ فمنذ أن تولاه

(1) تاريخ الطبري (5/ 330، 331).

(2) تاريخ الطبري (5/ 330).

تمكن من ضبطه وسياسته، وفهم نفسيات أهله حتى أحبوه.

3 ـ إن الميزان الحساس والمعيار الدقيق الذي يقيِّم الولاة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فلو وجد من معاوية شططاً أو انحرافاً أو ضعفاً لعزله، ولما أبقى عليه يوماً واحداً، فقد عمل له طيلة خلافته، كما ولاّه من قبل رسول الله ﷺ على بعض عمله، واستخدمه كاتباً بين يديه، وولاّه أبو بكر الصدِّيق من بعده ولم يطعن في كفاءته أحد.

4 ـ إن اعتزال العمل يجب أن يستند لأسباب موجبة للاعتزال، فما هي الحجة التي يقدمها دعاة الفتنة ليتم الاعتزال على أساسها؟

5 ـ إن الذي يقرر العزل عن العمل أو البقاء في الإمارة ليس هؤلاء الأدعياء، إن ذلك من حق أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وهو الذي له الحق في تعيين الولاة وعزلهم.

6 ـ إن أمير المؤمنين عثمان يوم يقرر عزل معاوية، فهو واثق أن أمره خير كله، ولا غضاضة في ذلك فهو أمير مأمور وهو أمر خليفة المسلمين[1].

كان ختام الجلسة مؤسفاً أشد الأسف، مؤلماً أشد الألم، لقد حذرهم نقمة الله وغضبه، وحذّرهم مهاوي الشيطان ومنزلقاته، وحذّرهم فرقة الكلمة ومعصية الإمام، وحذّرهم الانقياد إلى أهوائهم وغرورهم، فماذا كان منهم مقابل ذلك؟ وثبوا عليه، وأخذوا برأسه ولحيته، وعندئذ زجرهم وقمعهم، ووجّه لهم كلاماً قاسياً مبطناً بالتهديد، وعرف أن هؤلاء يستحيل أن ينصاعوا للحق، فلابد من إبلاغ أمرهم لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وكشف هوياتهم وخطرهم ليرى فيهم أمير المؤمنين رأياً آخر[2].

ـ كتاب معاوية إلى عثمان رضي الله عنهما بشأن أهل الفتنة من الكوفة:

كتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنهما قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يُملون عليهم، ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قِبَل القرآن

(1) معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، ص(114 ـ 117).
(2) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص(117، 118).

فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم وتمكنت رُقَى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجمُّ فيه نفاقهم[1].

خامساً: رجوع أهل الفتنة إلى الكوفة ثم نفيهم إلى الجزيرة:

كتب عثمان إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضجُّ منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص[2]، فلما وصلوا إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، استدعاهم، وكلَّمهم كلاماً شديداً، وكان مما قاله لهم: يا آلة الشيطان! لا مرحباً بكم ولا أهلاً! لقد رجع الشيطان محسوراً خائباً، وأنتم ما زلتم شياطين في الباطل! خَسَّرَ الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم، ويُخزِكم، يا معشر مَن لا أدري من أنتم: أعرب أم عجم؟ لن تقولوا لي كما كنتم تقولون لسعيد ومعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن مَن قد عجَمْته العاجمات، أنا ابنُ فاقئ الردّة والله لأذلّنكم، وأقامهم عبد الرحمن بن خالد عنده شهراً كاملاً، وعاملهم بمنتهى الحزم والشدة، ولم يّلن معهم كما لان سعيد ومعاوية، وكان إذا مشى مشوا معه، وإذا ركب ركبوا معه، وإذا غزا غزوا معه، وكان لا يدع مناسبة إلا ويذلهم فيها، وكان إذا قابل زعيمهم (صعصعة بن صوحان) يقول له: يا ابن الخطيئة، هل تعلم أن مَن لم يصلحه الخير أصلحه الشر، وأن مَن لم يصلحه اللين أصلحته الشدة، وكان يقول لهم: لماذا لا تردّون عليَّ كما كنتم تردّون على سعيد في الكوفة، وعلى معاوية بالشام؟ لماذا لا تخاطبوني كما كنتم تخاطبونهما؟

ونفع معهم أسلوب عبد الرحمن بن خالد، وأخرسهم حزمه وشدته وقسوته، وأظهروا له التوبة والندم. وقالوا له: نتوب إلى الله ونستغفره، أقلنا أقالك الله، وسامحنا

(1) تاريخ الطبري (5/ 331).
(2) المصدر نفسه.

سامحك الله! وبقي القوم في الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد، وأرسل عبد الرحمن أحد زعمائهم وهو الأشتر النخعي إلى عثمان ليخبره بتوبتهم وصلاحهم، وتراجعهم عما كانوا عليه من الفتنة، فقال عثمان للأشتر: احلُل أنت ومَن معك حيث شئتم، فقد عفوت عنكم. قال الأشتر: نريد أن نبقى عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذكر له من فضل عبد الرحمن وحزمه، فأقاما عند عبد الرحمن في الجزيرة مدة، أظهروا فيها التوبة والاستقامة والصلاح[1]، وسكت أصحاب الفتنة في الكوفة إلى حين، وكان هذا في شهور سنة ثلاث وثلاثين، بعدما تمّ نفي رؤوس الفتنة إلى معاوية في الشام، ثم عبد الرحمن بن خالد، فرأى أصحاب الفتنة في الكوفة أن المصلحة تقتضي أن يسكتوا إلى حين[2].

1 ـ أهل الفتنة بالبصرة يفترون على أشج عبد القيس:

أما أهل الفتنة بالبصرة بزعامة حكيم بن جبلة، فقد كانوا ضدَّ أهل الفضل فيها. وتآمروا وكذبوا عليهم، وكان من أفضل وأتقى أهل البصرة (أشج عبد القيس) واسمه عامر بن عبد القيس، وكان زعيماً لقومه، وقد وفد على رسول الله ﷺ، وتعلَّم منه، ومدحه رسول الله ﷺ بقوله: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»[3]. وكان عامر بن عبد القيس من قادة الجهاد في القادسية وغيرها، وكان مقيماً في البصرة، وكان على قسط كبير من الصلاح والتقوى، فكذب الخارجون عليه، واتهموه بالباطل، فسيَّره عثمان إلى معاوية بالشام، ولما كلّمه معاوية رضي الله عنه وعامله، عرف براءته وصدقه، وكَذِب الخوارج وافتراءهم عليه، وكان الذي تولى الكذب على عامر بن عبد القيس هو (حمران بن أبان) وهو رجل عاص بدون دين، حيث تزوج امرأة في أثناء عدتها! ولما علم عثمان بذلك فرَّق بينهما، وضربه ونكل به لمعصيته، ونفاه إلى البصرة، وهناك التقى مع زعيم الفتنة فيها، اللص حكيم بن جبلة[4].

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 327).
(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، (134).
(3) صحيح السيرة النبوية، ص(635).
(4) تاريخ الطبري (5/ 333، 334).

2 ـ ابن سبأ يحدد سنة أربع وثلاثين للهجرة للتحرك:

وفي سنة أربع وثلاثين ـ السنة الحادية عشرة من خلافة عثمان ـ أحكم عبد الله بن سبأ اليهودي خطته، ورسم مؤامراته، ورتَّب مع جماعته السبئيين الخروج على الخليفة وولاته، فقد اتصل ابن سبأ اليهودي من وكر مؤامراته في مصر بالشياطين من حزبه في البصرة والكوفة والمدينة، واتفق معهم على تفاصيل الخروج، وكاتبهم وكاتبوه، وراسلهم وراسلوه، وكان ممن كاتبهم وراسلهم، السبئيون في الكوفة، وقد كان بضعة عشر رجلاً منهم منفيين في الشام، ثم في الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبعد نفي أولئك الخارجين، كان زعيم السبئيين الحاقدين في الكوفة يزيد بن قيس[1]، وقد خلت الكوفة في سنة أربع وثلاثين من وجوهها وأشرافها، لأنهم توجهوا للجهاد في سبيل الله، ولم يبقَ إلا الرعاع والغوغاء، الذي أثَّر فيهم السبئيون والمنحرفون، وشحنوهم بأفكارهم الخبيثة، وهيجوهم ضد والي عثمان على الكوفة سعيد بن العاص رضي الله عنه[2].

3 ـ أوضاع أهل الكوفة عند تحرك أهل الفتنة:

قال الطبري عن أوضاع الكوفة سنة أربع وثلاثين: وفد سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان، وقد بعث سعيد قبل خروجه الأشعث بن قيس إلى أذربيجان، وسعيد بن قيس إلى الري، والنُّسير العجلي إلى همذان، والسائب بن الأقرع إلى أصبهان، ومالك بن حبيب إلى ماه، وحكيم بن سلامة إلى الموصل، وجرير بن عبد الله إلى قرقيسيا، وسلمان بن ربيعة إلى الباب، وعُتَيبة بن النَّهاس إلى حلوان، وجعل على الحرب القعقاع بن عمرو التميمي، وكان نائبه بعد خروجه عمرو بن حُريث، وبذلك خلت الكوفة من الوجوه والرؤساء، ولم يبق فيها إلا منزوع أو مفتون[3]، وفي هذا الجو خرج زعيم السبئيين في الكوفة (يزيد بن قيس) بعد اتفاق مع شيطانه ابن سبأ في مصر، وخرج معه أهل الفتنة الذين انضموا إلى جمعية ابن سبأ السرية، والغوغاء الذين تأثروا بها[4].

---

(1) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(135).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(135).

(3) تاريخ الطبري (5/ 337).

(4) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(136).

4 ـ القعقاع بن عمرو التميمى يقضي على التحرك الأول:

خرج يزيد بن قيس في الكوفة، وهو يريد خَلْع عثمان، فدخل المسجد وجلس فيه، وتجمَّعَ عليه في المسجد السبئيون، الذين كان ابن السوداء يكاتبهم من مصر، ولما تجمع الخارجون في المسجد، علم بأمرهم القعقاع بن عمرو أمير الحرب، فألقى القبض عليهم، وأخذ زعيمهم يزيد بن قيس معه، ولما رأى يزيد شدة القعقاع ويقظته وبصيرته، لم يجاهره بهدفهم وخطتهم في الخروج على الخليفة عثمان وخلعه، وأظهر له أن كل ما يريده هو وجماعته عزل الوالي سعيد بن العاص، والمطالبة بوال آخر مكانه، فاستُجيب لطلبهم، ولذلك أطلق القعقاع سراح الجماعة لما سمع كلام يزيد. ثم قال ليزيد: لا تجلس لهذا الهدف في المسجد، ولا يجتمع عليك أحد، واجلس في بيتك، واطلب ما تريد من الخليفة، وسيحقق لك ذلك[1].

5 ـ يزيد بن قيس يكاتب أهل الفتنة عند عبد الرحمن بن خالد:

جلس يزيد بن قيس في بيته، واضطرَّ إلى تعديل خطته في الخروج والفتنة، واستأجر هذا السبئي (يزيد بن قيس) رجلاً، وأعطاه دراهم وبغلاً، وأمره أن يذهب بسرعة وكتمان إلى السبئيين من أهل الكوفة الذين نفاهم عثمان بن عفان إلى الشام ثم إلى الجزيرة، وهم مقيمون عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد هناك، وقد أظهروا له التوبة والندم، وقال يزيد لإخوانه الشياطين في كتابه: إذا وصلكم كتابي هذا فلا تضعوه من أيديكم، حتى تأتوا إليّ، فقد راسلنا إخواننا في مصر ـ وهم السبئيون هناك ـ واتفقنا معهم على الخروج، ولما قرأ الأشتر كتاب يزيد خرج فوراً للكوفة، ولحق به إخوانه الخارجون، وفقدهم عبد الرحمن بن خالد فلم يجدهم، فأرسل جماعة في طلبهم، فلم يدركوهم، واتصل يزيد بن قيس بجماعته مرة ثانية، واتصل جماعته بالرعاع والغوغاء في الكوفة، وتجمَّعوا في المسجد، ودخل عليهم الأشتر النخعي في المسجد، وعمل على إثارتهم وتهييجهم، ودفعهم للثورة والخروج، وكان مما قال لهم: لقد جئتكم من عند الخليفة عثمان، وتركت واليكم سعيد بن العاص عنده، وقد اتفق عثمان وسعيد على إنقاص عطائكم، وخفض أموالكم من مئتي درهم، وقد كذب الأشتر فيما قال، ولم

(1) تاريخ الطبري (5/ 337).

يتحدث عثمان وسعيد بذلك، ولكنه كيد السبئيين في نشر الأكاذيب والافتراءات لتهييج العامة، واستخف الأشتر بكلامه الناس في المسجد، وأثر في الرعاع والغوغاء وهيَّجهم، وكانت ضجة كبيرة في المسجد، وصار يكلمه عقلاء المسلمين من وجوههم وأشرافهم وصالحيهم، وأتقيائهم، كأبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود، والقعقاع بن عمرو، فلم يسمع لهم، ولم يستجب لهم[1].

وصاح يزيد بن قيس في الغوغاء والرعاع داخل المسجد وخارجه، وقال: إني خارج إلى طرق المدينة، لأمنع سعيد بن العاص من دخول الكوفة، ومَن شاء أن يخرج معي لمنع سعيد من الدخول، والمطالبة بوالٍ مكانه؛ فليفعل فاستجاب لندائه السبئيون والرعاع، وخرج معه حوالي ألف منهم[2].

6 ـ القعقاع بن عمرو يرى قتل قادة أهل الفتنة:

ولما خرج السبئيون والغوغاء طلباً للفتنة والتمرد وإحداث القلاقل، بقي في المسجد وجوه المسلمين وأشرافهم وحلماؤهم، فصعد المنبر نائب الوالي عمرو بن حُريث وطالب المسلمين بالأخوة والوحدة ونهاهم عن التفرق والاختلاف والفتنة والخروج، ودعاهم إلى عدم الاستجابة للخارجين والمتمردين[3]، فقال القعقاع بن عمرو: أترد السيل عن عبابه، فاردد الفرات عن أدراجه، هيهات، لا والله لا تُمسِّكن الغوغاء إلا المشرفيَّة[4]، ويوشك أن تُنتَضى، ثم يعجون عجيج العتدان[5]، ويتمنون ما هم فيه فلا يرده عليهم أبداً، فاصبر، فقال: أصبر، وتحول إلى منزله[6].

7 ـ أهل الفتنة يمنعون سعيد بن العاص من دخول الكوفة:

سار يزيد بن قيس ومعه الأشتر النخعي بالألف من الخارجين إلى مكان على طريق

(1) تاريخ الطبري (5/ 338)؛ الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(138).
(2) المصدر نفسه (5/ 338).
(3) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(139).
(4) نوع من السيوف.
(5) تنتضى: تمضى وتزول النعم والخيرات. العتود: الجدي الذي استكرش، وقيل: الحوليُّ من أولاد الماعز.
(6) تاريخ الطبري (5/ 338).

المدينة، يسمى (الجَرَعَة) وبينما كانوا معسكرين في الجرعة، طلع عليهم سعيد بن العاص عائداً من عند عثمان، فقالوا له: عُد من حيث أتيت، ولا حاجة لنا بك، ونحن نمنعك من دخول الكوفة، وأخبر عثمان أننا لا نريد والياً علينا، ونريد من عثمان أن يجعل أبا موسى الأشعري والياً مكانك، قال لهم سعيد: لماذا خرجتم ألفاً لتقولوا لي هذا الكلام؟ كان يكفيكم أن تبعثوا رجلاً إلى أمير المؤمنين بطلبكم، وأن توقفوا لي رجلاً في الطريق ليخبرني بذلك، وهل يخرج ألف رجل لهم عقول لمواجهة رجل واحد[1]؟

رأى سعيد بن العاص أن من الحكمة عدم مواجهتهم، وعدم تأجيج نار الفتنة، بل محاولة إخمادها، أو تأجيل اشتعالها على الأقل، وهذا رأي أبي موسى الأشعري، وعمرو بن حريث، والقعقاع بن عمرو في الكوفة[2]، وعاد سعيد بن العاص إلى عثمان وأخبره خبر القوم الخوارج. قال له عثمان: ماذا يريدون؟ هل خلعوا يداً من طاعة؟ وهل خرجوا على الخليفة؟ وأعلنوا عدم طاعتهم له؟ قال له سعيد: لا، لقد أظهروا أنهم لا يريدونني والياً عليهم، ويريدون والياً آخر مكاني. قال له عثمان: مَن يريدون والياً؟ قال سعيد بن العاص: يريدون أبا موسى الأشعري. قال عثمان: قد عيّنا وأثبتنا أبا موسى والياً عليهم، ووالله لن نجعل لأحد عُذراً، ولن نترك لأحد حُجّة، ولنصبرنّ عليهم كما هو مطلوب منا، حتى نعرف حقيقة ما يريدون، وكتب عثمان إلى أبي موسى بتعيينه والياً على الكوفة[3].

وقبل وصول كتاب عثمان بتعيين أبي موسى والياً، كان في مسجد الكوفة بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وقد حاولوا ضبط الأمور، وتهدئة العامة، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك، لأن السبئيين والحاقدين سيطروا على الرعاع والغوغاء، وهيّجوهم، فلم يعودوا يسمعون صوت عقل أو منطق، وكان في مسجد الكوفة وقت التمرد والفتنة اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ، هما حذيفة بن اليمان، وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، وكان أبو مسعود غاضباً لتمرد وثورة الرعاع، وخروجهم إلى الجرعة، وعزلهم الوالي سعيد، وعصيانهم له، وهي أول مرة تحصل، بينما كان

(1) تاريخ الطبري (5/ 338).
(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(104).
(3) تاريخ الطبري (5/ 339).

حذيفة بعيد النظر، يتعامل مع الحدث بموضوعية وتفكير[1].

قال أبو مسعود لحذيفة: لن يعودوا من الجرعة سالمين، وسيرسل الخليفة جيشاً لتأديبهم، وستسفك فيها دماء كثيرة، فردّ عليه حذيفة قائلاً: والله سيعودون إلى الكوفة، ولن يكون هناك اشتباك أو حرب، ولن تسفك هناك دماء وما أعلم من هذه الفتن شيئاً، إلا وقد علمته من رسول الله ﷺ وهو حي، حيث أخبرنا عن هذه الفتن التي نراها اليوم قبل وفاته، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الرجل يصبح على الإسلام، ثم يمسي وليس معه من الإسلام شيء، ثم يقاتل المسلمين، فيرتد وينكصُ قلبه ويقتله الله غداً، وسيكون هذا فيما بعد[2].

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه متخصصاً في علم الفتن، وتعامل مع فتن السبئيين في الكوفة وغيرها، وفق ما سمعه وعلمه من رسول الله ﷺ، واستحضر ما حفظه من تلك الأحاديث، ففهم حقيقة ما يجري حوله، ولم يستبعده ولم يستغربه وحاول الإصلاح ما أمكنه[3].

8 ـ أبو موسى الأشعري يهدئ الأمور وينهى عن العصيان:

قام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بتهدئة الأمور، ونهى الناس عن العصيان. وقال لهم: أيها الناس: لا تخرجوا في مثل هذه المخالفة، ولا تعودوا لمثل هذا العصيان، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعجلة، اصبروا، فكأنكم بأمير[4]. فقالوا: فصلِّ بنا، قال: لا، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان[5].

وما كانوا صادقين في ذلك، لكنهم كانوا يخفون أهدافهم الحقيقية عن الآخرين، وكان أبو موسى يصلي بالناس إلى أن جاءه كتاب عثمان بتعيينه والياً على الكوفة، ولما

(1) الخلفاء الراشدون، ص(141).
(2) تاريخ الطبري (5/ 342).
(3) حذيفة بن اليمان، إبراهيم العلي، ص(86)؛ الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(141).
(4) أي: يأتيكم من قبل أمير المؤمنين عثمان.
(5) تاريخ الطبري (5/ 339).

هدأت الأمور في الكوفة إلى حين، في سنة أربع وثلاثين، عاد حذيفة بن اليمان إلى أذربيجان والباب يقود جيوش الجهاد هناك، وعاد العمال والولاة إلى أعمالهم في مناطق فارس[1].

9 ـ كتاب عثمان إلى الخارجين في الكوفة:

كتب عثمان بن عفان إلى الخارجين من أهل الكوفة كتاباً، يبيِّنُ فيه الحكمة من استجابته لطلبهم في عزل سعيد، وتعيين أبي موسى بدله، وهي رسالة ذات دلالات هامة، وتبيِّن طريقة عثمان في مواجهة هذه الفتن، ومحاولته تأجيل اشتعالها ما استطاع، مع علمه اليقيني أنها قادمة، وأنه عاجز عن مواجهتها، فهذا ما علمه من رسول الله ﷺ، قال لهم عثمان في رسالته: أما بعد، فقد أمّرت عليكم مَن اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشنَّ لكم عِرضي، ولأَبذُلنَّ لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، واسألوني كل ما أحببتم، مما لا يُعصى الله فيه، فسأعطيه لكم، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم، حتى لا يكون لكم علي حجة، وكتب بمثل ذلك في الأمصار[2]، رضي الله عن أمير المؤمنين عثمان، ما أصلحه، وأوسع صدره، وكم ظلمه السبئيون والخارجون الحاقدون، وكذبوا وافتروا عليه[3].

المبحث الثاني

سياسة عثمان رضي الله عنه في التعامل مع الفتنة

من خلال النصوص التاريخية في العديد من المصادر يتضح أن عثمان رضي الله عنه قد واجه الفتنة بعدد من الأساليب وهي:

أولاً: رأى بعض الصحابة بأن يرسل عثمان لجان تفتيش وتحقيق:

اهتز محمد بن مسلمة وطلحة بن عبيد الله وغيرهما لما سمعوا من الإشاعات التي بثها عبد الله بن سبأ في الأمصار، فدخلوا على أمير المؤمنين عثمان على عجل وقالوا:

(1) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(142).
(2) تاريخ الطبري (5/ 343).
(3) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(143).

يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإنا قد أتانا، وأخبروه بما تناهى لسمعهم عن الفتنة التي تموج بها الأمصار الإسلامية، وعن الهجوم الشرس على ولاته في كل صقع. وقال: أنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليَّ؟ قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بخبرهم[1].

فقام عثمان بإجراء سديد عظيم، وتخيَّر نفراً من الصحابة، لا يختلف اثنان في صدقهم وتقواهم وورعهم، ونصحهم، اختار محمد بن مسلمة الذي كان عمر يأتمنه على محاسبة ولاته والتفتيش عليهم في الأقاليم، وأسامة بن زيد حِبِّ رسول الله ﷺ وابن حِبِّه، وأمير الجيش الذي أوصى النبي ﷺ بإنفاذه في آخر عهده بالدنيا، فقال: «**أنفذوا بعث أسامة**»، وعمار بن ياسر، السبّاق إلى الإسلام، والمجاهد العظيم، وعبد الله بن عمر، التقي الفقيه الورع، فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة إلى البصرة، وعماراً إلى مصر، وابن عمر إلى الشام، وكانوا على رأس جماعة، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة، فمضوا جميعاً إلى عملهم الشاق المضني الخطير العظيم، ثم عادوا جميعاً عدا عمار بن ياسر الذي استبطأ في مصر ثم عاد، وقدموا بين يدي أمير المؤمنين ما شاهدوه وسمعوه وسألوا الناس عنه[2]، وكان ما جاء به هؤلاء واحداً في كل الأمصار، وقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكر المسلمون، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم[3]. وأما ما روي من اتهام عمار بن ياسر ﷺ بالتأليب على عثمان، ﷺ، فإن أسانيد الروايات التي تتضمن هذه التهمة ضعيفة، لا تخلو من علة، كما أن في متونها نكارة[4].

رجع مفتشو الأمصار واتضح بأنه ليس هناك ما يوجب على الخليفة أن يعزل واحداً من ولاته، والناس في عافية وعدل وخير ورحمة واطمئنان، وأمير المؤمنين يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويرعى حق الله وحقوق الرعية، وما يثار هو شكوك وأراجيف

(1) تاريخ الطبري (5/ 348).

(2) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص(210).

(3) تاريخ الطبري (5/ 348).

(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 117).

وأكاذيب يبثها الحاقدون في الظلمات لكي لا يُعرف مصدرها، ولكن الخليفة البار الراشد العظيم لم يكتفِ بهذا، بل كتب إلى أهل الأمصار[1].

ثانياً: كتب إلى أهل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين:

أما بعد: فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالي حق قِبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليَّ أهل المدينة أن أقواماً يُشتمون، وآخرون يضربون، فيا مَن ضرب سراً وشتم سراً، مَن ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي؛ أو تصدَّقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان وقالوا: إن الأمة لتمخَّضُ بشرّ[2].

فهل تريد الدنيا أن تسمع بحزم وعزم أعلى وأشمخ من هذا الحزم والعزم من رجل زاد سنُّه عن اثنتين وثمانين سنة، وهو في هذه الفورة والقوة من المتابعة والتنقيب عن المظالم؟ أم هل يريد الناس أن يروا عدلاً أرفع وأسمى من هذا العدل والإنصاف، حتى إن حق أمير المؤمنين الشخصي متروك لرعيته، ما دام حق الله قائماً وحدوده مرعيّة؟ نعم عند عثمان، الذي لم يقف عند ذلك، ولم يكتفِ بأن أرسل أمناءه للتفتيش عن أحوال الناس، وكتابته من ثم إلى أهل الأمصار بأن يأتوا موسم الحج ليرفعوا شكاتهم ـ إن كانت لهم ـ أ ام جموع الحجيج، ولم يكتفِ عثمان بذلك كله، بل بعث إلى عمال الأمصار أنفسهم ليواجهوا الناس عندما يرفعون مظالمهم ـ إن وجدت ـ ثم ليسألهم أمير المؤمنين عما يتناقله الناس، وليشيروا عليه بالرأي الناصح السديد الرشيد[3].

ثالثاً: مشورة عثمان لولاة الأمصار:

بعث عثمان رضي الله عنه إلى ولاة الأمصار واستدعاهم على عَجَل: عبد الله بن عامر، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص،

(1) تاريخ الطبري (1/ 349).
(2) المصدر نفسه.
(3) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص(212).

وعمرو بن العاص ـ وهم من الولاة السابقين ـ وكانت جلسة مغلقة وخطيرة جرت فيها الأبحاث التالية التي تقرر خطة العمل الجديدة على ضوء الأخبار المتناهية إلى المدينة عاصمة دولة الإسلام[1]، قال عثمان: ويحكم ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن يكون مصدوقاً عليكم وما يعصب[2] هذا إلا بي. فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم يرجع إليك الخبر عن القوم؟ ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيضمنك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها. قال: فأشيروا عليَّ، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يُصنع في السر، فيُلقي به غير ذي معرفة، فيخبر به، فيُتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم. قال معاوية: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما، قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراضيت عنهم وزدتهم عما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين. إن الشدة تنبغي لمن لا يألوا الناس شراً، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعاً اللين. وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به عليّ قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يُغلق عليه فيُكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك والله ليُفتحنّ، وليست لأحد على حجة حق، وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً، ولا نفسي. ووالله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها، كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تُدهِنوا فيها[3].

(1) معاوية بن أبي سفيان، ص(126).
(2) يعصب بي: يناط بي.
(3) تاريخ الطبري (5/ 351).

لقد خالف عثمان رضي الله عنه أخيه عمرو باتباع الشدة، ولم يخالفه في اتباع سنة صاحبيه، فرحى الفتنة دائرة ولا تعالج بالعنف لأن العنف هو الذي يدير هذه الرحى، ولن يرضي أمير المؤمنين أن يكون صاحبها، (فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها) وكان واضحاً صريحاً رضي الله عنه، فيما لا هوادة فيه، وهي حدود الله فلا مداهنة فيها وما غير ذلك، فالرفق أولى والمغفرة أفضل ولابد من تأدية الحقوق كلها[1].

وقد جاءت روايات بسند فيه ضعيف ومجهولون تشوِّه العلاقة بين عمرو بن العاص وعثمان رضي الله عنهما، وساهمت روايات ساقطة في مسخ صورة عمرو بن العاص رضي الله عنه، وتحويل علاقته بعثمان رضي الله عنه إلى علاقة فاتك خطَّط لقتل أميره، ثم عاد بانتهازية ليطالب بدمه[2]، وهذه الرواية ضعيفة ومرفوضة عند أهل التاريخ وأهل الحديث[3]، وقد جاء في رواية بسند فيها ضعفاء ومجهولون أيضاً بأن عمرو بن العاص قال: يا عثمان! إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية، فقلت وقالوا وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامضِ قُدماً[4]، وجاء في نفس الرواية أن عبد الله بن عامر قال: أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتى يهم كل رجل منهم قمل فروة رأسه ودبر دابته وتشغلهم عن الإرجاف بك[5].

إن عثمان رضي الله عنه منع الولاة من التنكيل بمثيري الشغب، حبسهم أو قتلهم، وقرّر أن يعاملهم بالحسنى واللين[6]، وطلب من عماله أن يعودوا إلى أعمالهم، وفق ما أعلنه لهم من أسلوب مواجهة الفتنة التي كان كل بصير يرى أنها قادمة[7].

1 ـ اقتراحان لمعاوية يرفضهما عثمان رضي الله عنهما:

قبل أن يتوجه معاوية بن أبي سفيان إلى الشام، أتى إلى عثمان وقال له: يا أمير

(1) عمرو بن العاص الأمير المجاهد للغضبان، ص(447).
(2) المصدر نفسه، ص(448).
(3) المصدر نفسه.
(4) تاريخ الطبري (5/ 340).
(5) المصدر نفسه.
(6) خلافة عثمان، د. السلمي، ص(77).
(7) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(151).

المؤمنين: انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قِبَل لك بها.

قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء ولو كان فيه قطعُ خيط عنقي. قال له معاوية: إذن أبعث لك جيشاً من أهل الشام، يقيم في المدينة، لمواجهة الأخطار المتوقعة ليدافع عنك وعن أهل المدينة. قال عثمان: لا حتى لا أقتِّر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق، بجند تساكنهم ولا أضيِّق على أهل الهجرة والنصرة. قال له معاوية: يا أمير المؤمنين والله لتُغتالنَّ أو لتغزينَّ. قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل[1].

لكأنما معاوية ﷺ يعلم أن وراء تلك الفتن والشائعات يداً خبيثة تخطط لهدف مرهوب ليس دونه ضرب الخليفة والخلافة؛ لكن عثمان الخليفة الراشد كان له رأي آخر، فهو يريد أن يسير مع هؤلاء لآخر الطريق حتى لا يترك لهم حجة عند الله ولا عند الناس، فيفضحهم في الدنيا والآخرة، وتلك مصابرة عظيمة من هذا الإمام العادل العظيم[2].

2 ـ عثمان يخترق صفوف المتآمرين بعد مجيئهم للمدينة:

كان أمير المؤمنين عثمان من اليقظة والوعي ما يجعله يحقق بقلم استخباراته مع هؤلاء المتآمرين، حيث بث في صفوفهم رجلين من المسلمين كانا قد عوقبا من الخليفة ليطمئن المتآمرون إليهم، فقد أرسل عثمان رجلين، مخزومياً وزهرياً فقال: انظرا ما يريدون واعلما علمهم، وكانا مما نالهما من عثمان أدب فاصطبرا للحق ولم يضطغنا[3]، فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون، فقالا: مَن معكم على هذا من أهل المدينة، قالوا ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا؟ قالوا: لا. قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ وشرح هؤلاء القوم للرجلين أبعاد المؤامرة كاملة والخطة المقترحة، وقالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج ولم يتب ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها، فرجعا إلى عثمان فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء فإنك إن لم تسلِّمهم، شقوا.

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 353).

(2) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص(214).

(3) اضطغن فلان على فلان: حقد عليه.

فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى: الصلاة جامعة! وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وحقيقة ما يريدون، من تأكيد الشبهات عليه تمهيداً للخروج عليه وخلعه أو قتله، وقام الرجلان اللذان حادثا السبئيين، فشهدا بما أخبروهما به. فقال المسلمون جميعاً في داخل المسجد: اقتلهم يا أمير المؤمنين، لأنهم يريدون الخروج على أمير المؤمنين، وتفريق كلمة المسلمين.

ورفض عثمان رضي الله عنه دعوة الصحابة لقتلهم، لأنهم مسلمون ـ في الظاهر ـ من رعيته، ولا يرضى أن يقال: عثمان يقتل مسلمين مخالفين له، ولذلك ردَّ عثمان بن عفان على تلك الدعوة قائلاً: لا نقتلهم، بل نعفو ونصفح، ونبصِّرهم بجهدنا، ولا نقتل أحداً من المسلمين، إلا إذا ارتكب حداً يوجب القتل، أو أظهر ردّة وكفراً[1].

رابعاً: إقامة الحجة على المتمردين:

ثم دعا عثمان القوم السبئيين إلى عرض ما عندهم من شبهات وإظهار ما يرونه من أخطاء وتجاوزات ومخالفات، وقع هو فيها، وكانت جلسة مصارحة ومكاشفة في المسجد على مرأى ومسمع من الصحابة والمسلمين، فتكلم السبئيون وعرضوا الأخطاء التي ارتكبها عثمان ـ على حد زعمهم ـ وقام عثمان رضي الله عنه بالبيان والإيضاح وقدّم حججه وأدلته فيما فعل، والمسلمون المنصفون يسمعون هذه المصارحة والمحاسبة والمكاشفة، وأورد عثمان ما أخذوه عليه، ثم بيَّن حقيقة الأمر، ودافع عن حُسن فعله وأشهد معه الصحابة الجالسين في المسجد[2].

1 ـ قال: قالوا: إني أتممت الصلاة في السفر، وما أتَّمها قبلي رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر. لقد أتممت الصلاة لما سافرت من المدينة إلى مكة، ومكة بلد فيه أهلي، فأنا مقيم بين أهلي ولست مسافراً أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

2 ـ وقالوا: إني حميتُ حمى، وضيَّقتُ على المسلمين، وجعلت أرضاً واسعة،

(1) تاريخ الطبري (5/ 354، 355).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(154، 155).

خاصة لرعي إبلي! ولقد كان الحمى قبلي، لإبل الصدقة، والجهاد، حيث جعل الحمى كلٌ من رسول الله وأبو بكر وعمر، وأنا زدت فيه لما كثرت إبل الصدقة والجهاد، ثم لم نمنع ماشية فقراء المسلمين من الرعي في ذلك الحمى، وما حميت لماشيتي! ولما وليت الخلافة كنت من أكثر المسلمين إبلاً وغنماً، وقد أنفقتها كلها، وما لي الآن ثاغية ولا راغية، ولم يبقَ لي إلا بعيران، خصَّصتهما لحجّي! أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

3 - وقالوا: إني أبقيت نسخة واحدة من المصاحف، وحرّقت ما سواها، وجمعت الناس على مصحف واحد! ألا إن القرآن كلام الله، من عند الله، وهو واحد، ولم أفعل سوى أن جمعت المسلمين على القرآن، ونهيتهم عن الاختلاف فيه، وأنا في فعلي هذا تابع لما فعله أبو بكر، لما جمع القرآن! أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم!.

4 - وقالوا: إني رددت الحَكم بن أبي العاص إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ نفاه إلى الطائف! إنّ الحكم بن العاص مكّي، وليس مدنياً، وقد سيّره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، وأعاده الرسول ﷺ إلى مكة بعدما رَضِيَ عنه، فالرسول ﷺ سيَّره إلى الطائف، وهو الذي ردّه وأعاده! أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

5 - وقالوا: إني استعملت الأحداث، ووليت الشباب صغار السن! ولم أوَلِّ إلا رجلاً فاضلاً محتملاً مرضياً، وهؤلاء الناس أهل عملهم، فسَلوهم عنهم. ولقد ولى الذين من قبلي مَن هم أحدث منهم وأصغر منهم سناً، ولقد ولّى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وهو أصغر ممن وليته، وقالوا لرسول الله ﷺ أشد مما قالوا لي أليس كذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم! إن هؤلاء الناس يعيبون للناس ما لا يفسِّرونه ولا يوضحونه.

6 - وقالوا: إني أعطيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح ما أفاء الله به، وإنما أعطيته خُمس الخمس، وكان مئة ألف، لما فتح إفريقية، جزاء جهاده وقد قلت له: إن فتح الله عليك إفريقية، فلك خمس الخمس من الغنيمة نفلاً، وقد فعلها قبلي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك قال لي الجنود المجاهدون: إنا نكره أن تعطيه

خمس الخمس ـ ولا يحقّ لهم الاعتراض والرفض ـ فأخذت خمس الخمس من ابن سعد ورددته على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سعد شيئاً! أليس كذلك! قال الصحابة: اللهم نعم.

7 ـ وقالوا: إني أحبُّ أهل بيتي وأعطيهم! فأما حبّي لأهل بيتي، فإنه لم يحملني على أن أميل معهم إلى جور وظلم الآخرين، بل أحملُ الحقوق عليهم وآخذ الحق منهم، وأما إعطاؤهم فإني أُعطيهم من مالي الخاص، وليس من أموال المسلمين، لأني لا أستحلُّ أموال المسلمين، ولا لأحد من الناس. ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صُلب مالي، أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيحٌ حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وجعلت مالي الذي لي لأهلي وأقاربي، قال الملحدون ما قالوا؟ وإني والله ما أخذت من مصر من أمصار المسلمين مالاً ولا فضلاً، ولقد رددت على تلك الأمصار الأموال، ولم يُحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الغنائم، ولقد تولى المسلمون تقسيم تلك الأخماس، ووضعها في أهلها! ووالله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فلساً فما فوقه، وإنني لا آكل إلا من مالي، ولا أعطي أهلي إلا من مالي.

8 ـ وقالوا: إني أعطيت الأرض المفتوحة لرجال معينين، وإن هذه الأرضين المفتوحة، قد اشترك في فتحها المهاجرون والأنصار وغيرهم من المجاهدين، ولما قسّمت هذه الأراضي على المجاهدين الفاتحين منهم مَن أقام بها واستقرَّ فيها، ومنهم مَن رجع إلى أهله في المدينة أو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكاً له، وقد باع بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها في أيديهم!.

وبذلك أورد عثمان رضي الله عنه أهم الاعتراضات التي أثيرت عليه، وتولّى توضيحها، وبيان وجه الحق فيها[1].

وترى من ذلك الدفاع المحكم الذي دافع به عثمان بن عفان رضي الله عنه وساجل الصحابة فيه وذاكرهم إياه، صورة لما كان يجري من النقد المرّ العنيف له رضي الله عنه، وما كان يشيعه

(1) العواصم من القواصم، ص(61 ـ 111)؛ تاريخ الطبري (5/ 355، 356)؛ الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(158)؛ الفتنة، أحمد عرموش، ص(10 ـ 14).

السبئيون من قالة السوء، وما يعملون على ترويجه من باطل مزيف، فقد أجمل ﷺ ذكر الاعتراضات التي كانوا يعترضون بها عليه، وبيّن وجه الحق فيما يفعل، وأنه كان على بينة من أمره، وعلى حجة من دينه، ولكنهم مغرضون لا يريدون رشاداً، ولا يبغون سداداً، فمجادلته لهم مجادلة رجل مخلص مع آخر يتربص به الدوائر، ويتسقط هفواته لينفذ أغراضاً ويلقي في نفوس الناس عنه إعراضاً، ومَن كان شأنه كذلك لا تقنعه الحجة، ولا يهديه الدليل، ومَن يضلل الله فلا هادي له[1].

وقد سمع كلامه وتوضيحه زعماء أهل الفتنة الذين بجانب المنبر، كما سمعه الصحابة الكرام، ومَن معهم من المسلمين الصالحين، وتأثَّر المسلمون بكلام عثمان وبيانه وتوضيحه، وصدَّقوه فيما قال، وازدادوا له حباً، وأما السبئيون دعاة الفتنة والفرقة، فلم يتأثروا بذلك، ولم يتراجعوا، لأنهم لم يكونوا باحثين عن حق، ولا راغبين في خير، إنما كان هدفهم الفتنة، والكيد للإسلام والمسلمين، وقد أشار الصحابة والمسلمون على عثمان بقتل أولئك السبئيين (زعماء الفتنة) بسبب ما ظهر من كذبهم وتزويرهم، وحقدهم، بل أصروا عليه في قتلهم، ليتخلّص المسلمون من شرهم، وتستقر بلاد المسلمين، ويُقضي على الفتنة التي يثيرها هؤلاء وأتباعهم، ولكن عثمان كان له رأي آخر، وتحليل مغاير، فآثر أن يتركهم، ورأى عدم قتلهم، محاولة منه لتأخير وقوع الفتنة، ولم يتخذ عثمان ضد السبئيين القادمين من مصر والكوفة والبصرة أي إجراء مع علمه بما يخططون ويريدون، وتركهم يغادرون المدينة ويعودون إلى بلادهم[2].

خامساً: الاستجابة لبعض مطالبهم:

الاستجابة لبعض مطالبهم في خلع بعض الولاة وتولية مَن طلبوا توليته، فهذه الأساليب كافية في المعالجة وإقامة الحق والعدل، لو كانت الأمور تسير في وضعها الطبيعي، لكن الواقع أن وراء هذه الشكاوى والإثارات أموراً خفية، وأحقاداً جاهلية، تسعى لإثارة الفتنة بين المسلمين وتفريق وحدتهم، ووقوع ما أخبر به النبي ﷺ من استشهاد عثمان ﷺ[3].

(1) تاريخ الجدل لمحمد أبو زهرة، ص(98، 99).
(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(158، 159).
(3) خلافة عثمان للسُّلمي، ص(78).

سادساً: ضوابط التعامل مع الفتن عند عثمان رضي الله عنه:

إن المتأمل في هدي عثمان رضي الله عنه في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم في مواجهته للفتن، ومن هذه الضوابط:

1 ـ التثبت:

فقد أرسل لجان تفتيش للأمصار واستمع لأهلها، واستطاع أن يخترق جماعة السبئيين، ويقف على حقيقة أمرهم، ولم يستعجل في إصداره للأحكام عليهم.

2 ـ لزوم العدل والإنصاف:

فقد اتضح هذا الضابط في كتابه للأمصار، وطلب ممن ادعى أنه شتم أو ضرب من الولاة فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، منه أو من عمّاله[1].

3 ـ الحلم والأناة:

ويتضح هذا الضابط في كتابه لأهل الكوفة عندما طلبوا عزل سعيد بن العاص وتعيين أبا موسى الأشعري وقد جاء في هذا الكتاب: . . . والله لأفرشنّكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولاستصلحنكم بجهدي، فلا تدعوا شيئاً أجبتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه[2].

4 ـ الحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرق بين المسلمين:

ولذلك جمع الناس على مصحف واحد كما مرّ معنا، وعندما عرض عليه الأشتر النخعي عروضاً ثلاثة يأتي تفصيلها بإذن الله قال عثمان: . . . وإن قتلتموني، فلم أرتكب ما يوجب قتلي، ووالله لئن قتلتموني فإنكم لا تتحابُّون بعدي أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدي أبداً، ولا تقاتلون العدو جميعاً بعدي[3].

5 ـ لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام:

من خلال سيرة عثمان رضي الله عنه، تتضح صفة قلة كلامه إلا فيما ينفع من علم أو نصح

(1) تاريخ الطبري (5/ 349).
(2) المصدر نفسه (5/ 343).
(3) البداية والنهاية (7/ 184).

أو توجيه أو رد اتهامات باطلة، وقد كان رضي الله عنه كثير الصمت قليل الكلام.

6 ـ استشارة العلماء الربانيين:

فقد كان رضي الله عنه يستشير علماء الصحابة، كعلي، وطلحة، والزبير، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وعبد الله بن سلام رضي اللَّه عنهم جميعاً، فالعلماء هم صمام الأمان، والملجأ في الخطوب المدلهمَّة والفتن المظلمة، لأنهم أبصر الناس بحالها، وأعرفهم بمآلها، فمن التجأ إليهم وجد الفهم السليم والنظر الصحيح والموقف الشرعي الواضح[1].

7 ـ الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن:

إن منهج عثمان رضي الله عنه أثناء الفتنة ومسلكه مع المتمردين الذين خرجوا عليه لم تفرضه عليه مجريات الأحداث ولا ضغط الواقع، بل كان منهجاً نابعاً من مشكاة النبوة حيث أمره رسول الله ﷺ بالصبر والاحتساب وعدم القتال حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وقد وفّى ذو النورين رضي الله عنه بوعده وعهده لرسول الله ﷺ طوال أيام خلافته حتى خرّ شهيداً مضرَّجاً بدمائه الطاهرة الزكية[2].

وقد قال محب الدين الخطيب: الذي يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار، هو أنه كان يكره الفتنة، ويتقي الله في دماء المسلمين. إلا أنه صار في آخر الأمر يود لو كانت لديه قوة راجحة يهابها البغاة، فيرتدعون عن بغيهم، بلا حاجة إلى استعمال السلاح للوصول إلى هذه النتيجة، وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض عليه معاوية أن يرسل إليه قوة من جند الشام تكون رهن إشارته، فأبى أن يضيق على أهل دار الهجرة بجند يساكنهم، وكان لا يظن أن الجرأة تبلغ بفريق من إخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أول مهاجر إلى الله في سبيل دينه. فلما تذاءب عليه البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسفك فيه الدماء جزافاً، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة أن يكفوا أيديهم وأسلحتهم عن مزالق العنف.

والأخبار بذلك مستفيضة في مصادر أوليائه وشانئيه، على أنه لو ظهرت في الميدان

(1) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص(728).

(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص(116).

قوة منظمة ذات هيبة تقف في وجوه الثوار، وتضع حداً لغطرستهم وجاهليتهم، لارتاح عثمان لذلك وسر به، مع ما هو مطمئن إليه من أنه لن يموت إلا شهيداً[1].

المبحث الثالث

احتلال أهل الفتنة للمدينة

أولاً: قدوم أهل الفتنة من الأمصار:

اتفق أهل الفتنة فيما بينهم على القيام بخطوتهم العملية النهائية، في مهاجمة عثمان في المدينة، وحمله على التنازل عن الخلافة، وإلا يقتل، وقرروا أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة: مصر والكوفة والبصرة في موسم الحج، وأن يغادروا بلادهم مع الحجاج، وأن يكونوا في صورة الحجاج، وأن يعلنوا للآخرين أنهم خارجون للحج، فإذا وصلوا المدينة، تركوا الحجاج يذهبون إلى مكة لأداء مناسك الحج، واستغلوا فراغ المدينة من معظم أهلها ـ المشغولين بالحج ـ وقاموا بمحاصرة عثمان، تمهيداً لخلعه أو قتله[2].

وفي شوال سنة خمس وثلاثين كان أهل الفتنة على مشارف المدينة[3]، فقد خرج المتمردون من مصر في أربع فرق، لكل فرقة أمير، ولهؤلاء الأمراء أمير، ومعهم شيطانهم عبد الله بن سبأ، وأمراء الفرق الأربعة هم: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التَّجيبي، وسودانُ بن حمران السَّكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وأمير هؤلاء الأمراء هو الغافقيُّ بن حرب العكي، وكان عدد الفرق الأربعة ألف رجل، وخرج المتمردون من الكوفة ألف رجل، في أربع فرق، وأمراء فرقهم هم: زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وأمير متمردي الكوفة هو عمرو بن الأصم.

وخرج متمردو البصرة ألف رجل، في أربع فرق، وأمراء فرقهم هم: حكيم بن جبلة العبدي، وذريحُ بن عبّاد العبدي، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرِّش بن

(1) العواصم من القواصم، ص(138).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(159).

(3) المصدر نفسه.

عبد الحنقي، وأمير متمردي البصرة هو حُرقوص بن زهير السَّعدي، وكان عبد الله بن سبأ يسير مع هؤلاء مزهواً مسروراً، بنجاح خطته اليهودية الشيطانية، وكان أهل الفتنة من مصر يريدون عليّ بن أبي طالب خليفة، وكان أهل الفتنة من الكوفة يريدون الزبير بن العوام خليفة، وكان أهل الفتنة من البصرة يريدون طلحة بن عبيد الله[1]، وهذا العمل منهم كان بهدف الإيقاع بين الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ما ذهب إليه الإمام الآجري حيث قال: وقد برَّأ الله ﷻ علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ﷺ من هذه الفِرَق، وإنما أظهروا ليموّهوا على الناس وليوقعوا بين الصحابة، وقد أعاذ الله الكريم الصحابة من ذلك[2].

وبلغ خبر قدومهم عثمان ﷺ قبل وصولهم، وكان في قرية خارج المدينة فلما سمعوا بوجوده فيها، اتجهوا إليه فاستقبلهم فيها، ولم تصرح لنا الروايات باسم هذه القرية، ويحدد المدائني، تاريخ قدومهم بليلة الأربعاء هلال ذي القعدة[3]، وكان أول مَن وصل المصريين، فقالوا لعثمان: ادع بالمصحف فدعا به، فقالوا: افتح السابعة، وكانوا يسمون سورة يونس بالسابعة ـ فقرأ حتى أتى هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يُونس: 59].

فقالوا له: قف، أرأيت ما حميت من الحمى؟ آلله أذن لك أم على الله تفتري؟ فقال: امضه نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى فإن عمر حماة قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصدقة، امضه، قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه نزلت في كذا فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطاً، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين[4].

علي بن أبي طالب يرسله عثمان للمفاوضة مع أهل الفتنة من الأمصار:

ونزل القوم في ذي المروة، قبل مقتله بما يقارب شهراً ونصفاً، فأرسل عثمان إليهم

(1) تاريخ الطبري (5/ 357).
(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص(148).
(3) فتنة مقتل عثمان، د. محمد الغبان (1/ 127).
(4) المصدر نفسه (1/ 128).

علياً رضي الله عنه ورجلاً آخر لم تسمه الروايات، والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[1]، وفي رواية أنهم شادُّوه، وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[2]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقبل، والمحروم يُعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، وأن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[3].

وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[4].

الكتاب المزعوم بقتل وفد أهل مصر:

وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقَّق، لذا خطَّطوا تخطيطاً آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه، وبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرَّض لهم، ويفارقهم ـ يُظهر أنه هارب منهم ـ فكأنه يقول: خذوني فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتَّشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان رضي الله عنه، وعليه خاتمه إلى عامله، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم، أو قتلهم، أو تقطيع أيديهم، وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[5]، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت، ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل، وينقش الخاتم، فلم يصدِّقوه[6].

---

(1) تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص(328)؛ تاريخ خليفة، ص(169، 170).
(2) فتنة مقتل عثمان (1/ 129).
(3) فتنة مقتل عثمان (1/ 129).
(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 129).
(5) تاريخ الطبري (5/ 379).
(6) فتنة مقتل عثمان (5/ 132)؛ البداية والنهاية (7/ 191).

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون: أنه من عثمان، وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزوّر مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور:

1 ـ إن حامل الكتاب المزوّر قد تعرض لهؤلاء المصريين، ثم فارقهم، وكرّر ذلك مراراً، وهو لم يفعل ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه، ويثير شكوكهم فيه، وكأنه يقول لهم: معي شيء هام بشأنكم! وإلا فلو كان من عثمان لخافهم حامل الكتاب المزعوم، ولأبعد عنهم وأسرع إلى والي مصر؛ ليضع بين يديه الأمر، فينفذه.

2 ـ كيف علم العراقيُّون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين ـ الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم ـ مسافةٌ شاسعةٌ، فالعراقيُّون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آنٍ واحدٍ، كأنما كانوا على ميعادٍ؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوّروا الكتاب، واستأجروا راكباً ليحمله، ويمثّل الدور في (البُوَيْبَ) أمام المصريِّين، قد استأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيِّين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان لقتل المنحرفين المصريين!! وهذا ما احتجَّ به عليُّ بن أبي طالب ﷺ فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[1]، بل إن عليّاً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[2].

3 ـ كيف يكتب عثمان إلى ابن أبي سرح بقتل هؤلاء، وابن أبي سرح كان عقب خروج المتمردين من مصر متجهين إلى المدينة كتب إلى الخليفة يستأذنه بالقدوم عليه، وقد تغلب على مصر محمد بن أبي حذيفة، وفعلاً خرج ابن أبي سرح من مصر إلى العريش وفلسطين فالعقبة، فكيف يكتب له عثمان بقتلهم، وعنده كتابه الذي يستأذنه به منه بالقدوم عليه؟

4 ـ إن عثمان ﷺ قد نهى عن قتل المتمرِّدين عندما حاصروه، وأبى على الصحابة أن يدافعوا عنه، ولم يأمر بقتال الخارجين دفاعاً عن نفسه ـ كما سيأتي تفصيله

(1) تاريخ الطبري (5/359).

(2) المصدر نفسه.

إن شاء الله ـ فكيف يكتب مثل هذا الكتاب المزوّر وقد خرجوا عنه من المدينة مظهرين التوبة والإنابة.

5 ـ تخلُّف حُكيم بن جَبَلة والأشتر النخعي ـ بعد خروج المتمرِّدين ـ في المدينة، يشير إشارة واضحة إلى أنهما هما اللذان افتعلا الكتاب، إذ لم يكن لهما أي عمل بالمدينة ليتخلَّفا فيها، وما مكثا إلا لمثل هذا الغرض، فهما صاحبا المصلحة في ذلك[1]، وربما كان ذلك بتوجيه من عبد الله بن سبأ، ولم يكن لعثمان رضي الله عنه في ذلك أيَّة مصلحةٍ، وكذلك ليس لمروان بن الحكم أيَّة مصلحةٍ، والذين يتَّهمون مروان في هذا إنما ينسبون إلى الخليفة الغفلة عن مهامه، وأن في ديوان الخلافة من يجري الأمور، ويقضي بها دون علمه، وبذلك يبرِّؤون ساحة أولئك المجرمين الناقمين الغادرين، ثم لو أن مروان زوّر الكتاب، لكان أوصى حامل ذلك الكتاب أن يبتعد عن أولئك المنحرفين، ولا يتعرض لهم في الطريق حتى يأخذوه وإلا لكان متآمراً معهم على عثمان، وهذا محال.

6 ـ إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتباً على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان عليٍّ وطلحة، والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي، وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت له سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[2].

ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[3]، ويتهم الوافدون عليًّا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتاباً[4]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمَّدٍ قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور

(1) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص(22).

(2) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 334).

(3) تاريخ خليفة بن خياط، ص(169).

(4) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 335).

البعيدة[1]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي، وطلحة، والزبير إلى الخوارج ـ قتلة عثمان ـ كُتُبٌ مزوَّرة عليهم أنكروها، وكذلك زُوِّر هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[2].

ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبريُّ وخليفة من استنكار كبار الصحابة ـ علي وعائشة والزبير ـ أنفسهم لهذه الكتب في أصحّ الروايات[3]، إن الأيدي المجرمة التي زوّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة، هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقَّنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زوّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة الـخبيثة اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر ـ من المسلمين ـ أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[4].

ثانياً: بدء الحصار ورأي عثمان في الصلاة خلف أئمة الفتنة:

لم تفصل الروايات الصحيحة كيفية بدء الحصار، ووقوعه، ولعل الأحداث التي سبقته تلقي شيئاً من الضوء على كيفية بدئه، فبينما كان عثمان رضي الله عنه يخطب الناس ذات يوم إذا برجل يقال له أعين[5]، يقاطعه ويقول له: يا نعثل[6]، إنك قد بدلت، فقال عثمان

(1) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 335).
(2) البداية والنهاية (7/ 175).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 335).
(4) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص(228، 229).
(5) أعين بن ضبعية بن ناجية بن غفال التميمي الحنظلي الذرمي.
(6) هو لقب أطلقه الخارجون على عثمان وهذا اللقب أطلق من باب التنقيص.

رضي الله عنه مَن هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد، فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجل من بني ليث يزعهم عنه حتى أدخله الدار[1]، وكان رجوع المتمردين الثاني، وقبل اشتداد الحصار كان عثمان رضي الله عنه يتمكن من الخروج للصلاة ودخول مَن شاء إليه، ثم منع الخروج من الدار حتى إلى صلاة الفريضة[2]، فكان يصلي بالناس رجل من المحاصرين، من أئمة الفتنة، حتى إن عبيد الله بن عدي بن الخيار تحرج من الصلاة خلفه، فاستشار عثمان في ذلك، فأشار عليه بأن يصلي خلفه، وقال له: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[3].

وفي بعض الروايات الضعيفة أن الذي كان يصلي بالناس هو أميرهم الغافقي[4]، ولا صحة لما روى الواقدي من أن علياً رضي الله عنه أمر أبا أيوب الأنصاري أن يصلي بالناس فصلى بهم أول الحصر، ثم صلى علي رضي الله عنه بهم العيد وما بعده، وإضافة إلى شدة ضعف إسناد هذه الرواية، فلو كان الذي يصلي بالناس هو علي، أو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهما لما تحرج عبيد الله بن عدي بن الخيار من الصلاة خلفهما[5].

ثالثاً: المفاوضات بين عثمان ومحاصريه:

وبعد أن تمّ الحصار، وأحاط الخارجون على عثمان رضي الله عنه بالدار طلبوا منه خلع نفسه، أو يقتلوه[6]، فقد رفض عثمان رضي الله عنه خلع نفسه، وقال: لا أخلع سربالاً سربلنيه الله[7]، يشير إلى ما أوصاه به رسول الله ﷺ، بينما كان قلة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يرون خلاف ما ذهب إليه، وأشار عليه بعضهم بأن يخلع نفسه ليعصم دمه، ومن هؤلاء المغيرة بن الأخنس رضي الله عنه، لكنه رفض ذلك[8].

---

(1) تاريخ دمشق، ترجمة عثمان ص(341، 342)، إسناده حسن.
(2) البخاري، كتاب الصلاة رقم (192).
(3) فتنة مقتل عثمان (1/ 145).
(4) تاريخ الطبري (5/ 444).
(5) فتنة مقتل عثمان (1/ 145).
(6) الطبقات لابن سعد (3/ 66)؛ تاريخ خليفة بن خياط، ص(171).
(7) التمهيد، ص(46 ـ 47).
(8) فتنة مقتل عثمان (1/ 147).

1 ـ ابن عمر يحث عثمان على عدم التنازل عن منصب الخلافة:

دخل ابن عمر على عثمان رضي الله عنهما أثناء حصاره، فقال له عثمان رضي الله عنه: انظر إلى ما يقول هؤلاء، يقولون اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا خلعتها أمخلَّدٌ أنت في الدنيا؟ فقال عثمان رضي الله عنه: لا، قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال عثمان رضي الله عنه: لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال: لا، قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه[1].

رضي الله عن عبد الله بن عمر، ما كان أبعد نظره، إنه لا يريد أن يسنَّ عثمان سنّة سيئة للخلفاء ـ وحاشا لعثمان أن يفعل ـ فلو تنازل عثمان لهؤلاء الخوارج البغيين، وخلع نفسه، لصار الخلفاء ألعوبة وملهاة بأيدي الطامعين أو المغرضين، وبذلك تهتز صورة الخليفة، وتزول هيبته عند الناس، ولقد سنَّ عثمان سنَّة حسنة لمن بعده بمشورة ابن عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم، حيث صبر واحتسب، فلم يتنازل عن الخلافة، ولم يسفك دماء المسلمين[2].

إن الاستجابة لمطالب المتمردين ـ وهم فئة قليلة من الأمة، ليسوا من أهل الحل والعقد، ولا من رجالات الإسلام وفقهاء الشريعة ـ ستكون لها آثار خطيرة على مسيرة الأمة، وهيبة الخلافة، وعلاقة الراعي بالرعية، وكان ثمن دفع هذه الآثار السيئة أن دفع الخليفة حياته، وهو يعلم بمصيره، ويستسلم له وهو أمر ثقيل على النفس، ولكنه قدم مصالح الأمة على مصلحته الشخصية، مما يكشف عن قوة وعزيمة، وشجاعة ومضاء، ويرد به على تلك التهم التي وجهت إليه من ضعف في هذه الصفات، فإنه رضي الله عنه كان قادراً بإذن الله على كبح الفتنة، ولكنه قدّر حدوث مفاسد تغلب على مصلحة كبحها، فأعرض عن ذلك درءاً لها، وبذلك يعلم خطأ العقاد عندما قال بأن قتل عثمان: لا يوصف بأكثر من أنه (مشاغبة دهماء) لم تجد مَن يكبحها[3]، فإن في ذلك غمزاً في شخصية وشجاعة عثمان رضي الله عنه، وهي حقاً فتنة دهماء، ولكن عدم كبحها يعد منقبة لعثمان رضي الله عنه لما فيه

(1) فضائل الصحابة (1/ 473) إسناده صحيح.
(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(179).
(3) ذو النورين عثمان بن عفان ص(122).

تضحية في سبيل الله، رجاء تحصيل مصلحة للأمة، وعملاً بوصية رسول الله ﷺ[1].

2 ـ توعد المحاصرين له بالقتل:

وبينما كان عثمان رضي الله عنه في داره، والقوم أمام الدار محاصروها دخل ذات يوم مدخل الدار، فسمع توعد المحاصرين له بالقتل، فخرج من المدخل، ودخل على مَن معه في الدار ولونه ممتقع فقال: إنهم ليتوعدونني بالقتل آنفاً، فقالوا له: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، فقال: ولم يقتلونني؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس**» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا تمنيت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني[2]؟

ثم أشرف على المحاصرين وحاول تهدئة ثورتهم وثنيهم عن خروجهم على إمامهم، مضمناً كلامه الرد على ما عابوه به، وكشف الحقائق التي لبسها القوم، عسى أن يفيق المغرّر بهم، ويعودوا إلى رشدهم، فطلب من المحاصرين أن يخرجوا له رجلاً يكلمه، فأخرجوا له شاباً يقال له: صعصعة بن صوحان، فطلب عثمان رضي الله عنه أن يبين له ما نقموه عليه[3].

3 ـ إقامة عثمان الحجة على زيف استدلال صعصعة:

قال صعصعة: أُخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله، فقال له عثمان رضي الله عنه: تل أي: استدل بالقرآن فقرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: 39].

فقال عثمان: ليست لك، ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي، فقرأ عثمان الآية التي استدل بها صعصعة، وما بعدها مما يفسرها ويبين زيف استدلال صعصعة بها فتلا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 149).

(2) المسند (1/ 63) وقال أحمد شاكر (452) إسناده صحيح.

(3) فتنة مقتل عثمان (1/ 150).

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: 39-41] . فأفهم عثمان رضي الله عنه الناس الآيات فهماً صحيحاً كما نزلت مبيناً سبب نزولها، وفيمن نزلت، وعلى ما تدل، لئلا يلبس عليهم مَن قرأ القرآن، وهو لا يعرف معناه، ويستدل به على ما يضاد مراده[1]، كما أن نفي عثمان لمن نفاه إنما هو عمل بالآية التي تلي الآية التي استدل بها صعصعة، فإنها تأمر مَن مكَّنه الله في الأرض، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعثمان خليفة، ونفيهم أمر بالمعروف ونهي عن المنكر لما قاموا به من تعدٍّ على بعض المسلمين، ومن محاولات لإثارة الفتنة[2].

4 ـ تذكير عثمان رضي الله عنه الناس بفضائله:

وبعد أن رد عثمان رضي الله عنه على هؤلاء، ذكَّر الناس بمكانته وببعض فضائله مناشداً من يعلمها أو سمعها من رسول الله ﷺ ليبينها للناس، فقد قال: أنشد الله مَن شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذا اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «**اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وأنا معه، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله مَن شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان؛ إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال: هذه يدي، وهذه يد عثمان، فبايع لي، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله مَن شهد رسول الله ﷺ قال: «**مَن يوسع لنا البيت في المسجد ببيت له في الجنة**». فابتعته من مالي فوسعت به المسجد، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله مَن شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «**مَن ينفق اليوم نفقة متقبلة؟**» فجهزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله مَن شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل، قال: فانتشد له رجال[3].

وعن أبي ثور الفهمي يقول: قدمت على عثمان، فبينا أنا عنده، فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا، فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم؟ فقلت: رأيتُ

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 151).

(2) المصدر نفسه (1/ 152).

(3) المسند (1/ 59) وقال أحمد شاكر (420) إسناده صحيح.

في وجوهم الشر، وعليهم ابن عُديس البلوي، فصعد ابن عُديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتنقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان، فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذُكر ما ذكرت، إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثم توفيت، فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولا أتت عليّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت، إلّا أن لا أجدها في تلك الجمعة، فأجمعها في الجمعة الثانية[1].

ولما رأى عثمان رضي الله عنه إصرار المتمردين على قتله، حذّرهم من ذلك ومن مغبته، فاطلع عليهم من كَوَّة[2]، وقال لهم: أيها الناس، لا تقتلوني واستعتبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تقاتلوا جميعاً أبداً، ولا تجاهدوا عدواً أبداً، لتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه[3].

وفي رواية أنه قال: أيها الناس لا تقتلوني فإني والٍ وأخٌ مسلم، فوالله إن أردت إلّا الإصلاح ما استطعت، أصبت أو أخطأت، وإنكم إن تقتلوني لا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تغزوا جميعاً أبداً، ولا يقسم فيئكم بينكم[4].

وقال أيضاً: فوالله لئن قتلوني لا يحابُّون بعدي أبداً، ولا يقاتلون بعدي عدواً أبداً[5]، وقد تحقق ما حذرهم منه، فبعد قتله وقع كل ما قاله رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الحسن البصري: فوالله إن صلى القوم جميعاً إن قلوبهم لمختلفة[6].

رابعاً: دفاع الصحابة عن عثمان رضي الله عنه ورفضه لذلك:

أرسل عثمان رضي الله عنه إلى الصحابة رضي الله عنهم يشاورهم في أمر المحاصرين وتوعدهم إياه

(1) المعرفة والتاريخ (2/ 488)؛ خلافة عثمان بن عفان للسُّلمي، ص(91).
(2) الكوة: الخرق في الحائط.
(3) الطبقات (3/ 71)؛ تاريخ ابن خياط، ص(171) إسناده صحيح.
(4) الطبقات (3/ 67، 68)؛ فتنة مقتل عثمان (1/ 156).
(5) تاريخ ابن خياط، ص(171)؛ فتنة مقتل عثمان (1/ 157) إسناده حسن.
(6) فتنة مقتل عثمان (1/ 157).

بالقتل، فكانت مواقفهم كالآتي:

1 ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جُزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي[1].

2 ـ الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أبي حبيبة[2]، قال: بعثني الزبير إلى عثمان ـ وهو محاصر ـ فدخلت عيه في يوم صائف، وهو على كرسي، وعنده الحسن بن عليٍّ، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فقلت: بعثني إليك الزبير بن العوّام، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إني على طاعتي، لم أبدّل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك، وكنت رجلاً من القوم، وإن شئت أقمت، فإن بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على ما آمرهم به، فلما سمع ـ يعني عثمان ـ الرسالة قال: الله أكبر، الحمد لله الذي عصم أخي، أقرئه السلام، ثم قل له: أحبّ إليّ وعسى الله أن يدفع بك عني، فلما قرأ الرسالة أبو هريرة قام فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تكون بعدي فتن وأمور**» فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: «**إلى الأمين وحزبه**»، وأشار إلى عثمان بن عفان: فقام الناس فقالوا: قد أمكنتنا البصائر، فأذن لنا في الجهاد؟ فقال: أعزم على مَن كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل[3].

3 ـ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

فقد ورد أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه دخل عليه ـ وهو محاصر ـ، فقال: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً، اختر إحداهن: إما أن

---

(1) تاريخ دمشق، ص(403).

(2) هو أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام، روى عن الزبير، وسمع أبا هريرة وعثمان محصور.

(3) فضائل الصحابة (1/ 511، 512) إسناده صحيح.

تخرج فتقاتلهم، فإن معك عدداً وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق باباً سوى الباب الذي هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل، فلن أكون أوّل مَن خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم**»، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة الرسول ﷺ[1].

4 ـ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

عزم الصحابة رضي الله عنهم على الدفاع عن عثمان رضي الله عنه، ودخل بعضهم الدار، ولكن عثمان رضي الله عنه عزم عليهم بشدة، وشدد عليهم في الكف عن القتال دفاعاً عنه، مما حال بين رغبتهم الصادقة في الدفاع عنه وبين تحقيقها، وكان من ضمن أولئك عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فقد قال لعثمان رضي الله عنه: قاتلهم فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله لا أقاتلهم أبداً[2].

وفي رواية: يا أمير المؤمنين، إنّا معك في الدار عصابةٌ مستبصرةٌ، ينصر الله بأقل منها، فأذن لنا، فقال عثمان رضي الله عنه: أنشد الله رجلاً أهراق فيَّ دمه[3]، ثم أمَّره على الدار، وقال: مَن كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزُّبير[4].

5 ـ كعب بن مالك، وزيد بن ثابت الأنصاريان رضي الله عنهما:

حث كعب بن مالك رضي الله عنه الأنصار على نصرة عثمان رضي الله عنه وقال لهم: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين، فجاءت الأنصار عثمان ووقفوا ببابه، ودخل زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب، إن شئت كنا أنصار الله مرتين[5]، فرفض

---

(1) البداية والنهاية (7/ 211).

(2) طبقات ابن سعد (3/ 70) إسناده صحيح.

(3) المصدر نفسه (3/ 70)؛ تاريخ ابن خياط، ص(173).

(4) المصدر نفسه (3/ 70) إسناده صحيح إلى عبد الله بن الزبير.

(5) طبقات ابن سعد (3/ 70)؛ فتنة مقتل عثمان (1/ 162).

القتال وقال: لا حاجة لي في ذلك كفُّوا[1].

6 ـ الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

وجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال له: اخترط سيفي؟ قال له: لا، أبرأ[2] الله إذاً من دمك، ولكن ثم[3] سيفك، وارجع إلى أبيك[4].

7 ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

ولما رأى الصحابة أن الأمر استفحل، وأن السيل بلغ الزبى [5]، عزم بعضهم على الدفاع عنه دون استشارته، فدخل بعضهم الدار مستعداً للقتال، فقد كان ابن عمر معه في الدار، متقلداً سيفه لابساً درعه ليقاتل دفاعاً عن عثمان رضي الله عنه، ولكن عثمان عزم عليه أن يخرج من الدار خشية أن يتقاتل مع القوم عند دخولهم عليه فيقتل، كما لبسه مرة أخرى[6].

8 ـ أبو هريرة رضي الله عنه:

ودخل الدار على عثمان يقول: يا أمير المؤمنين طاب امضرب[7]، فقال له: يا أبا هريرة أيَسُرّك أن تقتل الناس جميعاً وإياي؟ قال: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قُتل الناس جميعاً، فرجع ولم يقاتل، وفي رواية: أن أبا هريرة كان متقلداً سيفه حتى نهاه عثمان[8].

---

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 162).

(2) هكذا في الأصل ولعلها (أبرأ إلى الله).

(3) هكذا في الأصل والثم هو: إصلاح الشيء وأحكامه، لسان العرب (12/ 79) ويحتمل أن تكون مصحفة من شم، والشم هو: إعادة السيف إلى غمده.

(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 162)؛ المصنف لابن أبي شيبة (15/ 224).

(5) بلغ الماء الزبى أو الربى، ويروى بلغ السيل الزبى أو الربى، والزبى: جمع زبية الأسد، وهي حفرة تحفر له في مكان مرتفع ليصطاد، فإذا بلغ الماء فهو المجحف، الربى: جمع ربوة وهذا المثل يضرب في الشر الفظيع، المستقى في أمثال العرب للزمخشري (2/ 14).

(6) فتنة مقتل عثمان (1/ 163).

(7) الميم بدل اللام، فأصلها (الضرب) وهي لغة لبعض أهل اليمن.

(8) تاريخ خليفة بن خياط، ص(164).

9 ـ سليط بن سليط:

قال: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها[1].

ويقول ابن سيرين: كان مع عثمان في الدار سبعمائة، لو يدعهم لضربوهم ـ إن شاء الله ـ حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ويقول أيضاً: لقد قتل عثمان ـ يوم قتل ـ وإن الدار لغاصة، منهم ابن عمر وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا[2].

وبذلك يظهر زيف ما اتهم به الصحابة مهاجرين وأنصاراً من تخاذل عن نصرة عثمان رضي الله عنه، وكل ما روي في ذلك، فإنه لا يسلم من علة إن لم تكن عللاً قادحة في الإسناد والمتن جميعاً[3].

10 ـ عرض بعض الصحابة على عثمان مساعدته في الخروج إلى مكة:

ولما رأى بعض الصحابة إصرار عثمان رضي الله عنه على رفض قتال المحاصرين، وأن المحاصرين مصرون على قتله، لم يجدوا حيلة لحمايته سوى أن يعرضوا عليه مساعدته في الخروج إلى مكة هرباً من المحاصرين، فقد روي أن عبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، عرضوا عليه ذلك، وكان عرضهم متفرقاً، فقد عرض كل واحد منهم عليه ذلك على حدة، وعثمان رضي الله عنه يرفض كل هذه العروض[4].

الأسباب التي دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال:

يظهر للباحثين من خلال روايات الفتنة أن هناك أسباباً خمسة، هي:

1 ـ العمل بوصية رسول الله ﷺ التي سارَّه بها، وبيَّنها عثمان رضي الله عنه يوم الدار، وأنها عَهْدٌ عُهِدَ به إليه وأنه صابر نفسه عليه[5].

---

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 165).

(2) تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة عثمان، ص(395).

(3) فتنة مقتل عثمان (1/ 166).

(4) المصدر نفسه.

(5) فضائل الصحابة (1/ 605) إسناده صحيح.

2 ـ ما جاء في قوله: لن أكون أول مَن خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، أي كره أن يكون أول مَن خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك دماء المسلمين[1].

3 ـ علمه بأن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه[2].

4 ـ علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيقتل مصطبراً بالحق، معطيه في فتنة، والدلالات تدل على أن أوانها قد حان، وأكد ذلك تلك الرؤيا التي رآها ليلة قتله، فقد رأى رسول الله ﷺ، وقال له: «أفطر عندنا القابلة» ففهم رضي الله عنه أن موعد الاستشهاد قد قرب.

5 ـ العمل بمشورة ابن سلام رضي الله عنه له إذ قال له: الكفّ الكفّ، فإنه أبلغ لك في الحجة[3].

وتحقق إخبار النبي ﷺ، بأن عثمان رضي الله عنه سوف يقتل، وذلك فيما رواه عبد الله بن حوالة[4] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن نجا من ثلاث فقد نجا ـ ثلاث مرات ـ موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق، معطيه**»[5].

وفيما تقدم يتبين هدوؤه في التفكير رضي الله عنه، وأن شدة البلوى لم تحل بينه وبين ذلك التفكير الصحيح، والرأي السليم، فقد تضافرت الأسباب لتحديد هذا الموقف المسالم في قتال الخارجين عليه، ولا شك أنه رضي الله عنه كان على الحق في مواقفه التي اتَّخذها، لما صح عن النبي ﷺ أنه أشار إلى وقوع هذه الفتنة، وشهد لعثمان وأصحابه أنهم على الحقِّ فيها[6].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكفّ الناس عن الدماء، وأصبر الناس عمن نال من عرضه، وعلى مَن سعى في دمه فحاصروه، وسعوا

---

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 167)؛ المسند (1/ 396) أحمد شاكر.

(2) فتنة مقتل عثمان (1/ 167). إسناده الرواية فيه ضعف.

(3) الطبقات (3/ 71) إسناده حسن.

(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 168). إسناده حسن أو صحيح.

(5) مسند أحمد (4/ 106).

(6) فتنة مقتل عثمان (1/ 168). انظر: الأحاديث الصحيحة التي ذكرتها في فضائله رقم (16973) طبعة الرسالة. وإخبار النبي ﷺ عن قتله في هذا الكتاب.

في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاء المسلمون ينصرونه، ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر مَن يطيعه أن لا يقاتلهم... وقيل له: تذهب إلى مكة فقال: لا أكون ممن ألحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام، فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول مَن خلف محمداً في أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين[1].

خامساً: موقف أمهات المؤمنين وبعض الصحابيات:

1 ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

كان موقف السيدة أم المؤمنين، أم حبيبة من المواقف البالغة الخطر في هذه الأحداث، وهو موقف كان من الخطورة بحيث كادت رضي الله عنها أن تقتل فيه، ذلك أنه لما حوصر عثمان رضي الله عنه ومُنع عنه الماء، سرّح عثمان ابناً لعمرو بن حزم الأنصاري ـ من جيران عثمان ـ إلى علي بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا. وإلى طلحة وإلى الزبير، وإلى عائشة وأزواج النبي ﷺ، فكان أولهم إنجاداً له عليّ وأم حبيبة[2]، وكانت أم حبيبة معنيّة بعثمان، كما قال ابن عساكر، وكان هذا طبيعياً منها حيث النسب الأموي الواحد، جاءت أم حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه، فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل. قالوا: كاذبة، وأهووا لها، وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فندَّت[3] بأم حبيبة، فتلقاها الناس وقد مالت راحلتها، فتعلقوا بها، وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها[4]، ويبدو أنها رضي الله عنها أمرت ابن الجراح، مولاها أن يلزم عثمان رضي الله عنه، فقد حدثت أحداث الدار، وكان ابن الجرّاح حاضراً[5].

---

(1) منهاج السنّة (3/ 202، 203).

(2) دور المرأة السياسي، أسماء محمد، ص(340).

(3) ندّ البعير ونحوه نداً، وندوداً: نفر وشرد.

(4) تاريخ الطبري (5/ 401) نقلاً عن دور المرأة السياسي، ص(340).

(5) تاريخ المدينة (2/ 298).

2 ـ صفية زوجة رسول الله ﷺ:

وما فعلته السيدة أم حبيبة فعلت مثله السيدة صفية رضي الله عنها، فلقد روى عن كنانة[1]، قال: كنت أقود بصفية لتردَّ عن عثمان، فلقيها الأشتر[2]، فضرب وجه بغلتها حتى مالت، فقالت: ذروني، لا يفضحني هذا! ثم وضعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان، تنقل عليه الطعام والماء[3].

3 ـ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

ولما حدث ما حدث للسيدة أم حبيبة أعظمه الناس جداً، فخرجت عائشة رضي الله عنها من المدينة وهي ممتلئة غيظاً على المتمردين، وجاءها مروان بن الحكم فقال: أم المؤمنين، لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل. فقالت: أتريد أن يُصنع بي كما صُنع بأم حبيبة، ثم لا أجد مَن يمنعني! لا والله، لا أُعيَّر[4]، ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء[5]، ورأت رضي الله عنها أن خروجها ربما كان معيناً في فضِّ هذه الجموع، كما سيتضح من الرواية الآتية بعد، وتجهزت أمهات المؤمنين إلى الحج هرباً من الفتنة، على أن خروجهن لم يكن تنزُّهاً عن ملابسات الفتنة وحسب، ولم يكن هرباً محضاً، وإنما كان محاولة منهن لتخليص عثمان رضي الله عنه من أيدي هؤلاء المفتونين، الذين كان منهم محمد بن أبي بكر، أخو السيدة عائشة رضي الله عنها، الذي حاولت أن تَستتبعه معها إلى الحج فأبى. ولقد دلل على هذه المحاولة منها أن استتباعها له، ورفضه كانا لافتين للنظر حتى إن حنظلة الكاتب[6]، قد هاله رفض محمد لأن يتبع أم المؤمنين، وقارن بين هذا الرفض وبين متابعته لأهل الأمصار، قائلاً: يا محمد تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتدعوك ذؤبان[7] العرب إلى

---

(1) كنانة بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف العبشمي.

(2) دور المرأة السياسي، ص(340).

(3) سير أعلام النبلاء (2/ 237).

(4) أعيَّر: من العار. وقد يبدي هذا التعبير أن الحالة التي وضع فيها الغوغاء السيدة أم حبيبة كانت شديدة الإيلام.

(5) تاريخ الطبري (5/ 401).

(6) حنظلة بن ربيع التميمي، كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فسمى الكاتب.

(7) ذؤبان: لصوص وصعاليك.

ما لا يحل فتتبعهم، فأبى، فقالت السيدة عائشة: أما والله لو استطعت أن يحرمهم الله ما يجولون لأفعلن[1]. وهذا القول منها، بعدما حاولته مع أخيها، دليل على أنها قد بدأت محاولتها لفض الثائرين عن عثمان، ولإثارة الرأي العام عليهم منذ بدأ تفكيرها في الذهاب إلى مكة، وهذا هو ما أكد عليه الإمام ابن العربي، قال: إنه يروي أن تغيبهم ـ تغيب أمهات المؤمنين مع عدد من الصحابة كان قطعاً للشغب بين الناس، رجاء أن يرجع الناس إلى أمهاتهم، وأمهات المؤمنين، فيرعوا حرمة نبيهم[2]، ويستمعوا إلى كلمتهن التي طالما كانوا يقصدونها من كل الآفاق[3].

أي أن خروجهم كان نوعاً من التفريق لهذه الجموع، حيث كان معروفاً عند الناس التماس رأيهن، وفتاواهن، وكن رضوان الله عليهن لا يتصورن أن يصل الأمر بهؤلاء الناس إلى قتل الخليفة رضي الله عنه[4].

4 ـ مواقف للصحابيات:

أ ـ وقد حاولت أسماء بنت عميس نفس المحاولة التي حاولتها أم المؤمنين عائشة، فبعثت إلى ابنيها، محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر[5]، فقالت: إن المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس، فلا تأثما في أمر تسوقانه لا يأثم فيكما، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم، فلجّا وخرجا مُغضَبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وتقول: ما صنع بكما! ألا ألزمكما الله[6]، وقيل الحديث كان بين ليلى بنت أسماء وأخويها[7].

وهي في ذلك تشير إلى أنه لما جاء أهل الأمصار، وكرّوا راجعين إلى المدينة، بعدما كانوا ناظروا عثمان رضي الله عنه فناظرهم، وأقام عليهم الحجة، فأظهروا أنهم راجعون

(1) تاريخ الطبري (5/ 401).
(2) العواصم من القواصم، ص(156).
(3) دور المرأة السياسي، ص(342).
(4) المصدر نفسه، ص(343).
(5) محمد بن جعفر بن أبي طالب، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة، شهد صفين مع علي، وكان مع أخيه محمد بمصر لما قتل.
(6) تاريخ الطبري (5/ 202).
(7) المصدر نفسه.

obeikandl.com

إلى بلادهم، ثم ما لبثوا أن عادوا بدعوى أن عثمان رضي الله عنه بعث رسلاً في قتل أناس كان منهم حسب دعواهم محمد بن أبي بكر[1]، ولعلّ هذا هو ما يشير إليه محمد بن أبي بكر في قوله: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وقد نفى عثمان رضي الله عنه نسبة هذا الكتاب إليه وقال: إما أن تقيموا شاهدين عليّ بذلك، وإلا فيميني: أني ما كتبتُ ولا أمرتُ، وقد يكتب على لسان الرجل ويُضرب على خطه، ويُنقش على خاتمه[2].

لقد كانت السيدة أسماء رضي الله عنها واعية بما يجري من تدبير خفي لزعزعة أحوال المسلمين، وتنحية عثمان رضي الله عنه عن الخلافة، وهكذا فإن موقفها رضي الله عنها، من ابنيها، ووضوح الأمر عندها على هذا النحو الذي جعلها لا تتأثر في مقام الأمومة، ولا تبدو إلا مُحِقة للحق في هذا الموقف الواضح، هذا الموقف لا يستهان به ولاشك، وهو يعد صورة جلية لعدالة هؤلاء الصحابة الكرام[3].

ب ـ الصعبة بنت الحضرمي:

ولما اشتد حصار عثمان رضي الله عنه طلبت الصعبة بنت الحضرمى من ابنها طلحة بن عبيد الله أن يكلم عثمان كي يردعه عن إصراره على إسلامه نفسه دون مدافعة من الصحابة، واستنصارٍ بأهل الأمصار، فقد خرجت الصعبة بنت الحضرمي، وقالت لابنها طلحة بن عبيد الله: إن عثمان اشتد حصره، فلو كلمته حتى تردعه[4]، والرواية يبدو منها إشفاق الصعبة على عثمان رضي الله عنه، كما يبدو منها كذلك عناية أم عبد الله بن رافع بالأمر، ومتابعتها لما يجري من أحداث الفتنة[5]، وهي التي روت عن الصعبة بنت الحضرمي الحادثة[6].

هذا هو الموقف العام لنساء المسلمين فقد كان موقفاً، معتدلاً وقادراً على النظر السليم في المسألة، رغم الغيوم التي كانت ملتبسة بها، وهو على كل حال كان هذا

(1) دور المرأة السياسي، ص(343).
(2) العواصم من القواسم، ص(120).
(3) دور المرأة السياسي، ص(344).
(4) المصدر نفسه، ص(345).
(5) المصدر نفسه.
(6) المصدر نفسه.

obeikandl.com

موقف الصحابة جميعاً رضي الله عنهم وأرضاهم[1].

سادساً: مَن حجّ بالناس ذلك العام؟ وهل طلب عثمان من الولاة نصرته؟:

1 ـ مَن حج بالناس ذلك العام؟ (35هـ):

استدعى عثمان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكلّفه أن يحجّ بالناس هذا الموسم، فقال له ابن عباس: دعني أكن معك وبجانبك يا أمير المؤمنين، في مواجهة هؤلاء، فوالله إن جهاد هؤلاء الخوارج أحبُّ إليّ من الحج! قال له: عزمت عليك أن تحجّ بالمسلمين، فلم يجد ابن عباس أمامه إلا أن يطيع أمير المؤمنين، وكتب عثمان كتاباً مع ابن عباس، ليقرأ على المسلمين في الحجّ، بيَّن فيه قصته مع الخوارج عليه، وموقفه منهم، وطلباتهم منه[2]، وهذا نص خطاب عثمان رضي الله عنه للمسلمين في موسم الحج عام 35هـ: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أذكركم بالله جلَّ وعزَّ الذي أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البينات وأوسع عليكم من الرزق، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمته، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: 102 ـ 105].

وقال وقوله الحق: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: 7]. وقال قوله الحق:

---

(1) دور المرأة السياسي، ص(345، 346).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(167، 168).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: الآيات 6 ـ 8] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: 77].

وقال وقوله الحق: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: 16]. وقال وقوله الحق: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: 91 ـ 96] .

وقال قوله الحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59] .

وقال وقوله الحق: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55] .

وقال وقوله الحق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ۚ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: 10] .

أما بعد، فإن الله ﷻ رضي لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذّركم المعصية والفرقة والاختلاف، ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم، وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم، إن عصيتموه، فاقبلوا نصيحة الله ﷻ واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف، إلا أن يكون لها رأس يجمعها، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً، وسلط عليكم عدوكم، ويحل بعضكم حرمة بعض، ومتى يفعل ذلك لا يقم الله سبحانه دين، وتكونوا شيعاً، وقد قال الله جلَّ وعزَّ لرسول ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: 159].

وإني أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه، فإن شعيباً عليه السلام قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: 89، 90].

أما بعد، فإن أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث، أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله ﷻ والحق، ولا يريدون الدنيا، ولا منازعة فيها، فلما عرض عليهم الحق، إذا الناس في ذلك شتى، منهم آخذ لنحق، ونازع عنه حين يعطاه، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر، يريد أن يبتزه بغير الحق، طال عليهم عمري وراث[1] عليهم، أملهم الإمرة، فاستعجلوا القدر، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم، ولا أعلم أني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود، فقلت: أقيموها على مَن علمتم تعداها في أحد، أقيموها على مَن ظلمكم من قريب أو بعيد، قالوا: كتاب الله يُتلى، فقلت: فليتله مَن تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب.

وقالوا: المحروم يرزق، والمال يوفَّى، ليُستن فيه السنة الحسنة، ولا يُعتدى في الخمس ولا في الصدقة، ويؤمَّر ذو القوة والأمانة، وترد مظالم الناس إلى أهلها، فرضيت بذلك واصطبرت له، . . . كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر، استعجلوا القدر ومنعوا مني الصلاة، وحالوا بيني وبين المسجد، وابتزُّوا ما قدروا عليه

(1) راث: أبطأ.

بالمدينة، كتبت إليكم كتابي هذا، وهم يخبروننني إحدى ثلاث: إما يقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صواباً، غير متروك منه شيء، وإما أعتزل الأمر فيؤمّرون آخر غيري، وإما يرسلون إلى مَن أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من الذي جعل الله سبحانه عليهم من السمع والطاعة.

فقلت لهم: أما إقادتي من نفسي، فقد كان مَن قبلي خلفاء تخطئ وتصيب، فلم يُستقد[1] من أحد منهم، وقد علمت أنما يريدون نفسي، وأما أن أتبرأ من الإمارة، فإن يكلُبوني[2] أحب إلى مَن أن أتبرأ من عمل الله ﷻ وخلافته، وأما قولكم: يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من طاعتي، فلست عليكم بوكيل، ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة، ولكن أتوها طائعين، يبتغون مرضاة الله ﷻ وإصلاح ذات البين، ومن يكن منكم يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله ﷻ له، ومن يكن إما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة، وابتغاء مرضاة الله ﷻ والسنة والحسنة التي استن بها رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده رضي الله عنهما، فإنما يجزي بذلكم الله، وليس بيدي جزاؤكم، ولو أعطيتكم الدنيا كلها؛ لم يكن في ذلك ثمن لدينكم، ولم يُغْنِ عنكم شيئاً، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده، فمن يرض بالنّكث منكم فإني لا أرضاه له، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده، وأما الذي يخيرونني فإنما كله النزع والتأمير، فملكت نفسي ومن معي، ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه، وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء، فإني أنشدكم بالله وبالإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه مني وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله ﷻ، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والمؤازرة في أمر الله، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسرَاء: 34] .

فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون. أما بعد، فإني لا أبرئ نفسي، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يُوسُف: 53] وإن عاقبت أقواماً فما أبتغي بذلك إلا الخير، وإني أتوب إلى الله ﷻ من كل عمل عملته،

(1) استقاد الحاكم: ساله أن يقيد القاتل بالقتل.

(2) كلّبه: ضربه بالكلّاب والكلّاب: الحديدة التي على خف الراكب.

وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إن رحمة ربي وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلّا القوم الضالون، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. «وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير، ويكره إليها الفُسَّق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون». قال ابن عباس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية[1] بمكة بيوم.

2 ـ هل طلب عثمان رضي الله عنه من الولاة نصرته:

يزعم سيف بن عمر في روايته عند الطبري أن عثمان ـ لما حصر ـ كتب إلى عماله على الأمصار يستمدهم، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري على رأس جيش، وكذا فعل عبد الله بن سعد في مصر، فأرسل معاوية بن حديج وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو على رأس قواته[2]، وهذا الزعم لا يتفق مع منهج عثمان في مواجهة الفتنة من إيثار العافية و لكف، ولا يتفق مع تيقنه بالقتل، ولا يتفق مع ما لجأ إليه من صرف المدافعين عنه من كبار الصحابة وأبنائهم، بل عبيده ومواليه الذين نهاهم أشد النهي عن القتال، بل جعل العتق نصيب من يكف يده منهم، ولا يقاتل كما سوف نرى. . .

ولكن الذي يمكن تصوره هو أنه كما بادر جماعة من الصحابة إلى الدفاع عن عثمان دون أن يطلب منهم ذلك، ورغم محاولاته العديدة لصرفهم، فإنه قد بادرت جماعات كثيفة من أجناد المسلمين في الأمصار للدفاع عن الخليفة المظلوم من تلقاء أنفسهم، وتوجيه من أمرائهم، ولا يصح أن نظن أن رجلاً مثل معاوية في قرابته من عثمان كان سيسعه ـ لو أراد ـ أن يتقاعس عن السير إليه أو تسيير الجنود إليه، ولا يمكن أن نفترض أن رجالاً مثل أنصار عثمان بمصر ـ وعلى رأسهم معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وغيرهما من أبطال المسلمين ـ كانوا ينتظرون قابعين حتى يقتل الخليفة ثم يتحركون للثأر له، ويعرضون نحورهم للقتل في سبيله، بل الذي يمكن تصوره وافتراضه، أن جنوداً من الأمصار قد تحركت بالفعل نحو المدينة لنجدة الخليفة دون أن يطلب منها نجدته[3].

(1) تاريخ الطبري (5/ 425 ـ 431).

(2) تاريخ الطبري، (5/ 379، 380).

(3) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص(278، 279).

3 ـ آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه:

كان آخر لقاء عام لعثمان مع المسلمين، بعد أسابيع من الحصار، حيث دعا الناس، فاجتمعوا له جميعاً، المحارب الطارئ من البيين والمسالم المقيم من أهل المدينة، وكان في مقدمة القادمين: علي وطلحة والزبير، فلما جلسوا أمامه؛ قال لهم: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكم الدنيا لتركنوا إليها، وإن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، واتقوا الله عز وجل، فإن تقواه جُنّة ووقاية من بأسه وانتقامه، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزاباً. قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عِمرَان: 103] . ثم قال للمسلمين: يا أهل المدينة: إني أستودعكم الله، وأسأله أن يُحسن عليكم الخلافة من بعدي. وإني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا، حتى يقضي الله فيَّ قضاءه، ولأدعنَّ هؤلاء الخوارج وراء بابي، ولا أُعطيهم شيئاً، يتخذونه عليكم دخلاً في دين أو دنيا، حتى يكون الله هو الصانع في ذلك ما أحبَّ. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباهاً لهم، فجلسوا على باب عثمان عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار[1]، حتى أتاه أجله.

سابعاً: استشهاد عثمان رضي الله عنه:

وفضلاً عن تحرك جيوش الأمصار منها لنجدة الخليفة، فقد كانت أيام الحج تنقضي سريعاً وتوشك جماعات من هؤلاء أن تزحف إلى المدينة لنجدة الخليفة، وبخاصة مع وجود عبد الله بن عباس وعائشة وغيرهما من المدافعين عن عثمان، وقدمت الأخبار إلى المتمردين بأن أهل الموسم يريدون نصرة عثمان، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار إليهم أعلقهم[2] الشيطان وقالوا: لا يُخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا

(1) تاريخ الطبري (5/ 399، 400).

(2) أعلقهم: أي وسوس لهم وزين لهم أقوالهم وأفعالهم.

الرجل فيشتغل بذلك الناس عنا[1].

1 ـ آخر أيام الحصار وفيه الرؤيا:

وفي آخر أيام الحصار ـ وهو اليوم الذي قتل فيه ـ نام رضي الله عنه، فأصبح يحدث الناس ليقتلني القوم[2]، ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: «**يا عثمان أفطر عندنا**»، فأصبح صائماً، وقتل من يومه[3].

2 ـ صفة قتله:

هاجم المتمردون الدار فتصدى لهم الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، ومَن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، فنشب القتال فناداهم عثمان: الله الله، أنتم في حلٍّ من نصرتي، فأبوا، ودخل غلمان عثمان لينصروه، فأمرهم ألا يفعلوا، بل إنه أعلن أنه من كف يده منهم فهو حر[4]. وقال عثمان في وضوح وإصرار وحسم ـ وهو الخليفة الذي تجب طاعته ـ: أعزم على كل مَن رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كفّ يده وسلاحه[5]، ولا تبرير لذلك إلا بأن عثمان كان واثقاً من استشهاده بشهادة النبي ﷺ له بذلك، ولذلك أراد ألا تراق بسببه الدماء، وتقوم بسببه فتنة بين المسلمين[6].

وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج، ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل، ودخل الدار يحمي عنه وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت؟ فأقدم المتمردون على حرق الباب والسقيفة، فثار أهل الدار وعثمان يصلي حتى منعوهم، وقاتل المغيرة بن الأخنس، والحسن بن علي، ومحمد بن طلحة، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وأبو هريرة، فأبلوا أحسن البلاء، وعثمان يرسل إليهم في الانصراف دون قتال، ثم ينتقل إلى صلاته، فاستفتح قوله

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 402).

(2) الطبقات لابن سعد (3/ 75) فتنة مقتل عثمان (1/ 172).

(3) الطبقات (3/ 75) الخبر حسن لغيره، فتنة مقتل عثمان (1/ 175).

(4) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص(282)، البداية والنهاية (7/ 190).

(5) العواصم من القواصم، ص(133).

(6) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص(283).

تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه: 1 ـ 3] وكان سريع القراءة فما أزعجه ما سمع، ومضى في قراءته ما يخطئ وما يتعتع، حتى إذا أتى إلى نهايتها قبل أن يَصِلوا إليه ثم عاد فجلس وقرأ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧﴾ [آل عِمرَان: 137] .

وأصيب يومئذ أربعة من شبان قريش وهم الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم[1] وقتل المغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي[2]، وزياد الفهري، واستطاع عثمان أن يقنع المدافعين عنه، وألزمهم بالخروج من الدار، وخُلي بينه وبين المحاصرين، فلم يبق في الدار إلا عثمان وآله، وليس بينه وبين المحاصرين مدافع، ولا حام من الناس، وفتح ﷺ باب الدار[3].

وبعد أن خرج من في الدار ممن كان يريد الدفاع عنه، نشر ﷺ المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه وكان إذ ذاك صائماً، فإذا برجل من المحاصرين ـ لم تسمه الروايات ـ يدخل عليه، فلما رآه عثمان ﷺ قال له: بيني وبينك كتاب الله[4]، فخرج الرجل وتركه. وما إن ولي حتى دخل آخر، وهو رجل من بني سدوس، يقال له: الموت الأسود، فخنقه قبل أن يضربه بالسيف، فقال: والله ما رأيت شيئاً ألين من خنقه، لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان[5]، تردد في جسده ثم أهوى إليه بالسيف، فاتقاه عثمان ﷺ بيده فقطعها فقال عثمان: أما والله إنها لأول كفٌ خطت المفصَّل[6]، وذلك أنه كان من كتبة الوحي، وهو أول مَن كتب المصحف من إملاء رسول الله ﷺ، فقتل ﷺ والمصحف بين يديه، وعلى أثر قطع اليد انتضح الدم على المصحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[7] [البَقَرَة: 137].

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 169)؛ تاريخ الطبري (5/ 404) رواية صحيحة.
(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(184، 185)، البداية والنهاية (7/ 196).
(3) فتنة مقتل عثمان (1/ 188).
(4) تاريخ الطبري (5/ 405، 406).
(5) تاريخ ابن خياط، ص(174، 175)، إسناده صحيح أو حسن.
(6) تاريخ الطبري (5/ 398).
(7) المصدر نفسه (5/ 398) الخبر له طرق عديدة بمجموعها يرتقي إلى درجة الحسن لغيره.

وفي رواية: إن أول مَن ضربه رجل يسمى رومان اليماني، ضربه بصولجان، ولما دخلوا عليه ليقتلوه أنشد قائلاً:

أرى المَوتَ لا يُبْقِي عزِيزاً ولَمْ يَدَعْ لِعادٍ مَلاذاً في البِلادِ ومُرْتَقَى

وقال أيضاً:

يَبِيتُ أَهْلُ الحِصْنِ والحِصْنُ مُغْلَقٌ وَيَأتي الجِبَالَ في شَمَارِيخِهَا[1] العُلَى[2]

ولما أحاطوا به قالت امرأته نائلة بنت الفرافصة: إن تقتلوه أو تدعوه، فقد كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن[3]، وقد دافعت نائلة عن زوجها عثمان، وانكبت عليه واتقت السيف بيدها، فتعمدها سودان بن حمران، ونضح أصابعها فقطع أصابع يدها، وولَّت، فغمز أوراكها[4].

ولما رأى أحد غلمان عثمان الأمر، راعه قتل عثمان رضي الله عنه، وكان يسمى (نجيح) فهجم نجيح على سودان بن حمران فقتله، ولما رأى قتيرة بن فلان الكوني نجيحاً قد قتل سودان، هجم على نجيح فقتله، وهجم غلام آخر لعثمان اسمه (صبيح) على قتيرة بن فلان فقتله، فصار في البيت أربعة قتلى، شهيدان، ومجرمان، أما الشهيدان: فعثمان وغلامه نجيح، وأما المجرمان، فسودان وقتيرة السكونيان، ولما تمّ قتل عثمان رضي الله عنه نادى منادِ القوم السبئيين قائلاً: إنه لم يحل لنا دم الرجل ويحرم علينا ماله، ألا إن ماله حلال لنا، فانهبوا ما في البيت، فعاث رعاع السبئيين في البيت فساداً، ونهبوا كل ما في البيت، حتى نهبوا ما على النساء، وهجم أحد السبئيين، ويدعى كلثوم التجيبي على امرأة عثمان رضي الله عنه (نائلة) ونهب الملاءة التي عليها، ثم غمز وركَها، وقال لها: ويح أمّك من عجيزة ما أتمّك، فرآه غلام عثمان رضي الله عنه (صبيح) وسمعه وهو يتكلم في حق نائلة هذا الكلام الفاحش، فعلاه بالسيف فقتله[5]. وهجم أحد السبئيين على الغلام فقتله.

---

(1) شماريخها: رؤوسها (لسان العرب 3/ 31).

(2) فتنة مقتل عثمان (1/ 191)؛ البداية والنهاية (7/ 192).

(3) الطبقات (3/ 76)؛ فتنة مقتل عثمان (1/ 191).

(4) تاريخ الطبري (5/ 406، 407).

(5) تاريخ الطبري (5/ 407).

وبعدما أتم السبئيون نهب دار عثمان، تنادوا وقالوا: أدركوا بيت المال، وإياكم أن يسبقكم أحد إليه، وخذوا ما فيه، وسمع حراس بيت المال أصواتهم، ولم يكن فيه إلا غرارتان من طعام فقالوا: انجوا بأنفسكم فإن القوم يريدون الدنيا، واقتحم السبئيون بيت المال وانتهبوا ما فيه[1].

حقق الخوارج السبئيون مرادهم، وقتلوا أمير المؤمنين، وتوقف كثير من أتباعهم من الرعاع والغوغاء بعد قتل عثمان ليفكروا، وما كانوا يظنون أن الأمر سينتهي بهم إلى قتله، لقد استغفلهم شياطينهم السبئيون، واستغلوهم في الشغب على عثمان، أما أن يقتلوه فهذا ما استفظعوه واستشنعوه، وأُسقِطَ في أيدي هؤلاء الغوغاء، وحصل لهم كما حصل لبني إسرائيل، لما عبدوا العجل، ندم بعضهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[2] [الأعراف: 148، 149].

وحزن الصالحون في المدينة لمقتل خليفتهم وصاروا يسترجعون ويبكون، لكن ماذا يفعلون؟ وجيوش الخوارج السبئيين تحتل المدينة، وتعيث فيها فساداً، وتمنع أهلها من فعل أي شيء؟ وكان الحاكم الفعلي للمدينة هو أمير خوارج مصر (الغافقيّ بن حرب العكي) وكان معهم شيطانهم المخطط (عبد الله بن سبأ) وهو فرح مسرور لما وصل إليه من أهداف ومآرب يهودية شيطانية.

وعلّق كبار الصحابة على مقتل عثمان[3]:

أ - الزبير بن العوام رضي الله عنه: لما علم بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون. فقيل له: إن القوم نادمون، فقال: دبَّروا ودبَّروا، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: 54].

ب - طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: لما علم بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان، إنا لله

(1) تاريخ الطبري (5/ 407).

(2) البداية والنهاية (7/ 197، 198).

(3) الخلفاء الرشدون للخالدي، (190)، البداية والنهاية (7/ 197).

وإليه راجعون. فقيل له: إن القوم نادمون. قال: تبّاً لهم، وقرأ قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: 49، 50] .

ج - علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما علم بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون. قيل له: إن القوم نادمون. فقرأ قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: 16، 17] .

د - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ولما علم سعد بن أبي وقاص بذلك قال: رحم الله عثمان. ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف: 103 ـ 106] . ثم قال سعد: اللهم أندمهم واخزهم واخذلهم، ثم خذهم[1]، واستجاب الله دعوة سعد ـ وكان مستجاب الدعوة ـ فقد أخذ كل مَن شارك في قتل عثمان، مثل عبد الله بن سبأ، والغافقي والأشتر، وحكيم بن جبلة، وكنانة التجيبي، حيث قتلوا فيما بعد[2].

ثامناً: تاريخ قتله، وسنه عند استشهاده وجنازته والصلاة عليه ودفنه:

1 ـ تاريخ قتلـه:

إن في تحديد السنة التي قُتل فيها عثمان رضي الله عنه شبه إجماع من المؤرخين، فلم يقع خلاف في أنه كان في السنة الخامسة بعد الثلاثين من الهجرة، إلا ما روي عن مصعب بن عبد الله من أنه كان من السنة السادسة والثلاثين[3]، وهو قول شاذ مخالف للإجماع، فمن قال بالقول الأول جمع غفير، منهم؛ عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعامر بن

(1) تاريخ الطبري (5/ 407، 408)؛ البداية والنهاية (7/ 189).

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(192).

(3) تاريخ الطبري (5/ 435، 436).

شرحبيل الشعبي، ونافع مولى ابن عمر، ومخرمة بن سليمان وغيرهم كثير[1]، ولم يختلف المؤرخون في الشهر الذي قتل فيه، وأنه ذو الحِجَّة، إلا أنه اختلف في تحديد ما بعد ذلك من اليوم والساعة، والذي ترجح لدي من أقوال العلماء الكثيرة: أنه استشهد في (18/ 12/ 35هـ)[2].

وأما عن تحديد اليوم الذي قتل فيه من أيام الأسبوع ففيه ثلاثة أقوال والذي ترجح لديّ من هذه الأقوال قول الجمهور، وهو يوم الجمعة، لأنه قول الجمهور ولم يخالفه قول أقوى منه[3]، وكان وقت قتله صبيحة يوم الجمعة، وهو ما ذهب إليه الجمهور ولم يخالف بأقوى منه[4].

2 ـ سنّه عند استشهاده:

اضطربت الروايات في سنه عند استشهاده والخلاف في ذلك قديم، حتى إن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: اختلف السلف قبلنا في قدر مدة حياته[5]، والذي أميل إليه أنه توفي وسنّه اثنتان وثمانون (82 سنة) وهو قول الجمهور ويترجح هذا القول لعدة أسباب منها:

أ ـ أن نتيجة مقارنة سنة ولادته مع سنة استشهاده تؤيد هذا القول؛ فإنه ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل، واستشهد في السن الخامسة والثلاثين بعد الهجرة، فطرح تاريخ مولده من تاريخ استشهاده يتبين لنا سنّه عند استشهاده.

ب ـ إنه قول الجمهور، ولم يخالفه قول أقوى منه[6].

3 ـ جنازته والصلاة عليه ودفنه:

قام نفر من الصحابة في يوم قتله بغسله وكفنوه وحملوه على باب، ومنهم حيكم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي،

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 193، 194).
(2) تاريخ الطبري (5/ 435).
(3) المصدر نفسه (5/ 436).
(4) المصدر نفسه (5/ 437).
(5) المصدر نفسه (5/ 438).
(6) فتنة مقتل عثمان (1/ 204).

obeikandl.com

وجبير بن مطعم، والزُّبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيان، وصلى عليه جبير بن مطعم وقيل: الزبير بن العوام، وقيل: حكيم بن حزام: وقيل: مروان بن الحكم، وقيل: المسور بن مخرمة[1]، والذي ترجح عندي أن الذي صلّى عليه الزبير بن العوام لرواية الإمام أحمد في مسنده، فقد بينت تلك الرواية أن الزبير بن العوام رضي الله عنه، صلّى على عثمان ودفنه، وكان أوصى إليه[2].

وقد دُفن رضي الله عنه ليلاً، وقد أكد ذلك ما رواه ابن سعد والذهبي حيث ذكرا أنه دفن بين المغرب والعشاء[3]، رضوان الله عليه، وأما ما رواه الطبراني من طريق عبد الملك بن الماجشون، قال: سمعت مالكاً يقول: قتل عثمان رضي الله عنه، فأقام مطروحاً على كناسة بني فلان ثلاثاً[4]، فالرواية السابقة ضعيف سندها، وباطل متنها، فأما السند ففيه علتان:

أ ـ ضعف عبد الملك بن الماجشون الذي كان يروي المناكير عن الإمام مالك.

ب ـ أن هذه الرواية مرسلة، حيث إن الإمام مالكاً لم يدرك مقتل عثمان رضي الله عنه؛ لأنه لم يولد إلا سنة 93هـ[5].

وأما متن هذه الرواية فباطل، وفيه يقول ابن حزم: من قال إنه رضي الله عنه أقام مطروحاً على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت، وإفك موضوع، وتوليد من لا حياء في وجهه... ولقد أمر رسول الله ﷺ برمي أجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر في القليب، وألقى التراب عليهم، وهم شر خلق الله تعالى، وأمر عليه السلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة، وهم شر مَن وارته الأرض، فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين، فكيف يجوز لذي حياء في وجهه أن ينسب إلى علي وهو الإمام ومَن بالمدينة من الصحابة؛ أنهم تركوا رجلاً ميتاً بين أظهرهم على مزبلة ثلاثة أيام لا يوارونه[6].

(1) البداية والنهاية (7/ 199).

(2) الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد (1/ 555) رجال الإسناد ثقات إلا إنه منقطع.

(3) الطبقات (3/ 78)؛ تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء)، ص(481).

(4) المعجم الكبير (1/ 78)؛ استشهاد عثمان، ص(194).

(5) التهذيب، ابن حجر (6/ 408).

(6) الفصل (4/ 239، 240).

إنه لا يدخل في عقل أي إنسان سليم من داء الرفض أنهم يتركون إمامهم ملقى دون دفن ثلاثة أيام، مهما كانت قوة أولئك الفجرة الذين جاءوا لحصاره وقتله، فالصحابة كما وصفهم ربهم لا يخافون في الله لومة لائم، وإنما تلك الروايات التي شوهت كتب التاريخ من دس الروافض[1].

4 ـ براءة محمد بن أبي بكر الصدِّيق من دم عثمان رضي الله عنه:

إن قاتل عثمان رضي الله عنه رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وبينت أنه سدوسي الأصل، أسود البشرة، لقب بـ (جبْلة) لسواد بشرته، كما لقب أيضاً بـ (الموت الأسود) وذهب محب الدين الخطيب إلى أن القاتل: هو عبد الله بن سبأ حيث قال: ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة، وهو في كل الأدوار التي مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار، فلعل (الموت الأسود) اسم مستعار له أراد أن يرمز به إليه، ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام[2]، وقد يشهد له: أن ابن سبأ أسود البشرة، فقد صح عن عليٍّ رضي الله عنه أنه وصفه بالخبث، وسواد البشرة، وذلك في قوله: الخبيث الأسود[3].

وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر، بقتل عثمان بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة، لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري[4]، وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد بن أبي بكر من دم عثمان منها:

أ ـ أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل فيما بعد، وسيأتي تفصيله عند حديثنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإذن الله تعالى.

ب ـ لعن عليٌّ رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليتهم، وقد

(1) عقيدة أهل السنة (3/ 1091).

(2) العواصم من القواصم، نقلاً عن فتنة مقتل عثمان (1/ 207).

(3) لسان الميزان (3/ 290).

(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 209).

ولّى محمد بن أبي بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

ج - ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة. قالت: هل أندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، فخرج، ولم يند من دمه بشيء[1]...

ويشهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجال ثقات عن الحسن البصري - وكان ممن حضر يوم الدار[2] - أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده! فخرج وتركه[3].

وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصدِّيق من دم عثمان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل[4]، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أنه لما كلمه عثمان رضي الله عنه استحي، ورجع وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[5].

المبحث الرابع

موقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنهم

شوّهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين، فالمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي وابن أعثم، وغيرهم من الإخباريين يشعر أن الصحابة هم الذي كانوا يحركون المؤامرة، ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان والمؤلبين ضده، ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف، فعمرو بن العاص يقدم

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص(243).

(2) المصدر نفسه، ص(244)؛ تهذيب الكمال (6/ 97).

(3) المصدر نفسه، ص(244).

(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 209).

(5) البداية والنهاية (7/ 193).

المدينة، ويأخذ في الطعن على عثمان، وقد كثرت الروايات التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رضي الله عنه، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة، وأثاروا الناس وهذا كله كذب وزور[1].

وخلافاً للروايات الموضوعة والضعيفة، فقد حفظت لنا كتب المحديثن ـ بحمد الله ـ الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان والمنافحين عنه، المتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة أو إثارتها[2].

إن الصحابة جميعاً رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، ومَن قال خلاف ذلك، فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلى مرتبة الصحة، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه، قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا كانوا أعلاجاً[3] من أهل مصر. وقال الإمام النووي: ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه[4].

وقد وصفهم الزبير رضي الله عنه بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم نزّاع القبائل[5]، ووصفهم ابن سعد بأنهم حثالة الناس متفقون على الشر[6]، ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون باغون معتدون[7]، ووصفهم الذهبي بأنهم رؤوس شر وجفاء[8]، ووصفهم ابن العماد الحنبلي في الشذرات بأنهم أراذل من أوباش القبائل[9].

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 14 ـ 18).
(2) المصدر نفسه (2/ 18).
(3) العلج: كلُّ جاف شديد من الرجال.
(4) شهيد الدار عثمان بن عفان، أحمد الخروف، ص(148).
(5) شرح النووي على صحيح مسلم (5/ 148)، كتاب فضائل الصحابة.
(6) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 481) طبقات ابن سعد (3/ 71).
(7) منهاج السنّة (3/ 189 ـ 206).
(8) دول الإسلام للذهبي (1/ 12).
(9) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 482)، شذرات الذهب (1/ 40).

ويشهد على هذا الوصف تصرف هؤلاء الرعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، فكيف يمنع الماء عنه والطعام، وهو الذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجّان[1]، وهو الذي ساهم بأموال كثير عندما يلمّ بالناس مجاعة أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب الناس ضائقة أو شدة من الشدائد[2]، حتى إن علياً رضي الله عنه يصف هذا الحال وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيها الناس، إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادّة ـ لطعام ـ فإن الروم وفارس لتأسر وتطعم وتسقي[3].

لقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ على براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده[4]. وإليك أقوال الصحابة في البراءة من دم عثمان:

أولاً: ثناء أهل البيت على عثمان رضي الله عنه وبراءتهم من دمه:

1 ـ موقف السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أ ـ عن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها؛ أنها سألت عائشة، وأرسلها عمّها فقالت: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله مَن لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن وإنه ليقول: اكتب عثمان، فما كان الله لينزِل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله[5].

ب ـ وعن مسروق عن عائشة، قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملكِ، أنتِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي

(1) المصدر نفسه (1/ 482)، البخاري كتاب مناقب عثمان (4/ 202).
(2) التمهيد والبيان، ص(242).
(3) تاريخ الطبري (5/ 400).
(4) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 18).
(5) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 378)، المسند (6/ 250 ـ 261)، البداية والنهاية (7/ 219).

هذا[1]، وقد مرّ معنا كذب البيّن وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذباً وزوراً للسيدة عائشة رضي الله عنها.

ج ـ ولما سمعت بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة، رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتَّرت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرْب[2]، واستعمال مَن حدثت سنُّه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سُبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا غدراً خلجوا[3]، وبادروا بالعدوان، ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام. والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[4] من اجتماعكم عليه حتى يَنْكل[5] بهم غيرهم ويشرَّد[6] مَن بعدهم، ووالله، لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً، لخلُص منه كما يخلص الذهب من خبثه، أو الثوب من درنه، إذ ماصُّوه كما يماصُّ الثوب بالماء[7].

وعلى العكس من الصورة الطيبة التي نفهمها من الروايات السابقة الموثوقة للعلاقة بين أم المؤمنين عائشة وعثمان، فإنه تبقى عند الطبري وغيره روايات أخرى صوّرت العلاقة بين عائشة وعثمان على صورة متناقضة تماماً لما انتهينا إليه، وشوّهت الدور الرائع الناصع، الواعي، الذي قامت به رضي الله عنها، دفاعاً عن حرمات الله عز وجل، ودفعاً عن عثمان رضي الله عنه، وفهماً لألاعيب السبئية[8].

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 391)؛ تاريخ خليفة، ص(176)، إسناده صحيح إلى عائشة.
(2) الإرب: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل.
(3) خلجوا: تحركوا واضطربوا.
(4) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.
(5) ينكل بهم غيرهم: حتى يردعهم ويروع بهم غيرهم.
(6) يشرد: يفرق، ويبدد جمعهم.
(7) تاريخ الطبري (5/ 473، 474).
(8) دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، ص(352).

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد، وفي الأغاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه، إن جميع ما تؤدي إليه من استدلالات تدين الموقف السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها، لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة، وقيامها على روايات واهية[1]، فأغلبها روايات غير مسندة، والمسند مجروح الإسناد، لا يحتج بروايته، هذا إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقرباً بالحقيقة[2].

وقد قامت السيدة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره، وبينت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً ـ كما ذكرت آنفاً ـ لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُمي أصحابها بالكذب، لكننا عرضنا لها، لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سقوطها، فهي روايات ـ كما اتضح لنا ـ حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة، وبين عثمان والصحابة جميعاً[3]، ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان رضي الله عنه لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين، لكن لم يصح عنها رضي الله عنها شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها من مقتل عثمان، فهي روايات كفيلة بإسقاط العدالة عن عائشة رضي الله عنها، وعن الصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا أمام الروايات، تأكيداً منا على سقوط هذه الروايات، ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية، والعلمية، والتاريخية، في صعيد واحد يؤكد بعضها بعضاً[4].

(1) انظر: أيضاً في هذه الاستدلالات الباطلة، العقاد، الصديقة بنت الصديق، ص(116 ـ 124).
(2) دور المرأة السياسي، ص(370).
(3) دور المرأة السياسي، ص(370).
(4) دور المرأة السياسي، ص(371).

2 ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان علي رضي الله عنه وآل البيت يجلُّونه، ويعترفون بحقه فكان:

أ ـ أول مَن بايعه بعد عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب[1]، وعن قيس بن عباد قال: سمعت علياً رضي الله عنه وذكر عثمان فقال: هو رجل قال له رسول الله ﷺ: **«ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»**[2].

ب ـ وقد شهد رضي الله عنه له بالجنة، فعن النزال بن سبرة قال: سألت علياً عن عثمان فقال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضمن له بيت في الجنة[3].

ج ـ وكان رضي الله عنه طائعاً معترفاً بإمامته وخلافته لا يعصي له أمراً، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده عن ابن الحنفية عن علي: قال لو سيّرني عثمان إلى صرار؛ لسمعت وأطعت[4]، والصِّرار: هو الخيط الذي تشد به ـ التوادي ـ على أطراف الناقة لئلا يرضعها ولدها[5]، وفيه دليل على مدى اتباعه وطاعته لعثمان رضي الله عنهما[6].

د ـ ولما جمع عثمان رضي الله عنه الناس على قراءة واحدة، بعد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم وإجماعهم على ذلك، قال علي رضي الله عنه: لو وليت الذي وليّ، لصنعت مثل الذي صنع[7].

هـ ـ ولقد أنكر علي رضي الله عنه قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق

---

(1) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم (3700).

(2) مسلم، كتاب فضائل الصحابة رقم (2401).

(3) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص(227)، المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري، مخطوط بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية، وقد طبع هذا الكتاب عن طريق دار الحديث.

(4) السنّة للخلال (1/ 325) رقم (416) إسناده صحيح.

(5) لسان العرب (4/ 451).

(6) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص(227).

(7) السنن للبيهقي (2/ 42).

openkandil.com

تفيد القطع[1]، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما[2]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه: فأما الذي ادعته المبتدعه من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه[3]، وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على علي رضي الله عنه وافتراء عليه، فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار[4]، وقد قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[5].

وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عبَّاد قال: سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**»، وإني لأستحي من الله أن أبايَع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس، فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[6].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد ابن الحنفية قال: بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد[7] قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً[8]، وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني

(1) البداية والنهاية (7/ 202).
(2) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص(229)، حق اليقين لعبد الله شبر ص(189).
(3) المستدرك (3/ 103).
(4) منهاج السنّة (4/ 406).
(5) العقيدة في أهل البيت، ص(230) إسناده حسن.
(6) المستدرك (3/ 95) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(7) موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.
(8) فضائل الصحابة (1/ 555) رقم (733) إسناده صحيح.

نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت، ولكني غلبت، قالها ثلاثاً[1]، وجاء عنه أيضاً أنه قال رضي الله عنه: مَن تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت[2].

و ـ وقال علي رضي الله عنه عن عثمان رضي الله عنه: . . . كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرَّب تعالى[3].

ز ـ وعن أبي عون قال: سمعت محمد بن حاطب قال: سألت علياً عن عثمان فقال: هو من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا ولم يختم الآية[4].

ح ـ عن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفُرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 24]. والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله[5].

ط ـ وروى الإمام أحمد في مسنده عن محمد بن حاطب قال: سمعت علياً يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبيَاء: 101] منهم عثمان[6]. وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان[7]. وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها. أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[8].

3 ـ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

روى الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس أنه قال: لو اجتمع الناس على قتل

(1) الطبقات (3/ 82)؛ البداية والنهاية (7/ 202).
(2) الرياض النضرة، ص(543).
(3) صفة الصفوة، ص(1/ 306).
(4) فضائل الصحابة (1/ 580) إسناده صحيح.
(5) المصدر نفسه (1/ 559، 560) إسناده لغيره رقم (379).
(6) المصدر نفسه (1/ 580) رقم (771) إسناده صحيح.
(7) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (5/ 61).
(8) البداية والنهاية (7/ 193).

عثمان؛ لرُموا بالحجارة كما رُمي قوم لوط[1]، وقال رضي الله عنه في مدح عثمان، وذم مَن ينتقصه: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة، وأفضل البررة، هجاداً بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهّاضاً عند كل مكرمة، سبّاقاً إلى كل منحة، حبيباً أبياً وفياً، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله ﷺ، فأعقب الله على مَن يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين[2].

4 ـ زيد بن علي رحمه الله:

روى ابن عساكر بإسناده إلى السدي قال: أتيته: أي زيد ـ وهو في بارق ـ حي من أحياء الكوفة فقلت له: أنتم سادتنا وأنتم ولاة أمورنا، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: تولّهما، وكان يقول البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، البراءة من علي، والبراءة من علي، البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان[3].

5 ـ علي بن الحسين رحمه الله:

وقد ثبت عن علي بن الحسين البراءة من قول الرافضة في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقد روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين أنه قال: جلس قوم من أهل العراق، فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدؤوا في عثمان فقال لهم: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: 8] قالوا: لا، قال: فأنتم من الذين ﴿تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9] قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: 10]. فقوموا عني لا بارك الله

(1) فضائل الصحابة (1/ 563) رقم (746).

(2) العقيدة في أهل البيت، ص(234)، مروج الذهب للمسعودي (3/ 64).

(3) العقيدة في أهل البيت، ص(335)، تهذيب تاريخ دمشق (6/ 21).

فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزؤون بالإسلام، ولستم من أهله[1].

ثانياً: موقف عمّار بن ياسر رضي الله عنه:

جاء في الروايات التاريخية التي تحمل في طياتها غثاً وسميناً أن هناك خلافاً بين عمار وعثمان رضي الله عنهما، وقد خطم بعضها بأسانيد، وأخرى لا خطام لها ولا زمام، ولم أجد مَن أغنى فيه بحثاً وتحليلاً إلا لماماً، والتعرض لمثل هذا الموضوع الذي يَمَسُّ كرامة أطهر خلق الله وأحبهم إليه وإلى نبيه، لا يمكن معه الاعتماد على روايات تسرح في أعراض الصحابة كما تشاء، وتمرح من غير زمام أو خطام[2]، ومن التهم الساقطة التي ساقتها الروايات الضعيفة:

1 ـ ضرب عمار بن ياسر:

تعتبر الروايات التي تحدَّثت عن ضرب عثمان لعمار من أشهر الروايات في هذا الموضوع وأكثرها، ولقد تفنن واضعوها في ذكر الأساليب التي استخدمها عثمان رضي الله عنه بالضرب، وفي ذكر ما نتج عنه، وهي مع فساد أسانيدها تحمل نكارة شديدة في متونها[3]، يقول القاضي أبو بكر ابن العربي في عواصمه ضمن تفنيده لما نسب إلى عثمان رضي الله عنه من افتراءات: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه، فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغى أن يشتغل بها، لأنها مبنية على باطل، ولا يُبني حق على باطل، ولا نذهب الزمان في مماشاة الجهّال، فإن ذلك لا آخر له[4].

إن أخلاق عثمان رضي الله عنه في سنه وإيمانه وحيائه ولين عريكته ورقة طبعه وسابقته، وجليل مكانته في الإسلام أجلّ من أن تنزل به إلى هذا الدَّرك من التصرف مع رجل من أجلاء أصحاب النبي ﷺ، يعرف له عثمان سابقته وفضله، مهما كان بينهما من اختلاف في الرأي، أفيرضى عثمان لنفسه ـ وهو الذي أبى على الناس أن يقاتلوا دونه، ورضي

(1) العقيدة في أهل البيت، ص(236)؛ البداية والنهاية (9/ 112)؛ الجامع لأحكام القرآن (18/ 31، 32).
(2) عمار بن ياسر، أسامة أحمد سلطان، ص(122).
(3) المصدر نفسه.
(4) العواصم من القواصم، ص(82 ـ 84).

بالموت صابراً محتسباً حقناً لدماء المسلمين واتقاء للفتنة العامة ـ أفيرضى أن يصنع بعمار ـ وهو أعلم بسابقته وفضله في الإسلام ـ ما ذكرت الروايات المزعومة بأنه أمر غلمانه بأن يضربوه حتى أغمي عليه، ثم يقوم عثمان في هذا الحال فيطأه في بطنه؟ ثم هل ترضى أخلاق عثمان وحياؤه بأن يدعو بدعوة الجاهلية، فيعير عماراً بأمه سمية، وهي من أهل السابقة والفضل، وعثمان يعرف شرف انتساب عمار إلى أمه سمية رضي الله عنها، أول شهيدة في الإسلام؟!.

كلا إن الأخبار الصحيحة والموثوقة لا يوجد فيها ما يدني عثمان من هذا الأسلوب المنحط في الزجر والتأديب، علاوة على أن أخلاقه وطبيعته وسيرته تستبعد ذلك تماماً. ومما لا شك: فيه أن عرض أمثال تلك الروايات الموضوعة على ما عُرف من مواقف وأخلاق أولئك الأئمة الأعلام، والأخذ بالاعتبار مقاييس ذلك العصر ومعاييره لهو أصدق ميزان في النقد، لكشف دخائل الوضاعين والمفترين[1].

2 ـ اتهام عمار بالمساهمة في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان:

اعتمد المؤرخون في نسبة هذه الافتراءات إلى عمار رضي الله عنه على روايات لم تسلم إحداها من الطعن في صحة أسانيدها، أو في استقامة متونها، وتتنوع التهم المنسوبة إلى عمار رضي الله عنه في تحركيه لأمر الفتنة، وتحريضه على عثمان، وسعيه بين العامة للتمرد عليه، فمنها ما ذكر من إرسال عثمان رضي الله عنه له إلى مصر لاستجلاء ما يحدث فيها مما نقل إليه عن تمرد العامة هناك، وأن السبئيين استطاعوا استقطاب عمار والتأثير عليه، وهذا الخبر الذي يرويه الطبري[2]، فيه شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي راوية كتب سيف، فيه جهالة، وقال عنه الراوي: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار، وفيها بعض النكارة، وفيها ما فيه من تحامل على السلف[3]، ورواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة، وفيه شيخ عمر: علي بن عاصم. قال عنه ابن المديني: كان علي بن عاصم كثير الغلط، وإذا رُد عليه، لم يرجع، وكان معروفاً في الحديث، ويروي أحاديث منكرة[4]، وقال يحيى بن

(1) الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان، ص(14 ـ 41)؛ عمار بن ياسر، ص(137).
(2) تاريخ الطبري (5/ 348).
(3) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص(30).
(4) سير أعلام النبلاء (9/ 253).

معين: ليس بشيء[1]، وقال مرة: كذاب ليس بشيء[2]، وقال النسائي: متروك الحديث[3]، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم، يتكلمون فيه[4]، وهناك مَن تلطف بالكلام عليه، وقال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ ويصر، ورمي بالتشيع[5]، وخبر هذا حال إسناده، لا يمكن الاطمئنان إليه، لاسيما ما عرف عن عمار ﷺ من الورع الذي يربأ به عن الانغماس في مثل تلك الأوحال التي ما عهدنا مرتاداً لها إلا سبئياً يهودياً حاقداً، ومعاذ الله أن يصل الحال بصحابي من صحابة النبي ﷺ إلى هذا المستوى. يقول خالد الغيث: وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلاً عن عدم وروده من طريق صحيح[6].

ومن الروايات الباطلة في هذا الباب ما نُسب إلى سعيد بن المسيب، وفيها أن الصحابة بمجملهم نقموا على عثمان ﷺ مع من نقم، وحنقوا عليه، وخاصة أبا ذر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر[7]، ﷺ، وآفة هذه الرواية أن فيها تدليساً ليس من النوع الممكن إقراره والتجاوز عنه، فقد أسقط منها راوٍ متهم بالوضع والكذب، وهو إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله، ولذلك جاء تضعيف علماء الحديث لهذه الرواية، وبيان زيفها عند ترجمتهم لمحمد بن عيسى بن سميع راوي الخبر عن ابن أبي ذئب، يقول الإمام البخاري عن ابن سميع: يقال إنه لم يسمع من ابن أبي ذئب هذا الحديث، يعني حديثه عن الزهري في مقتل عثمان، ويقول ابن حبان: إن ابن سميع لم يسمع حديثه من ابن أبي ذئب، وإنما سمعه من إسماعيل بن يحيى، فدلس عنه.

وقال الحاكم: أبو محمد ـ يعني ابن سميع ـ روي عن ابن أبي ذئب حديثاً منكراً، وهو حديث مقتل عثمان، ويقال: كان في كتابه عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب

---

(1) سير أعلام النبلاء (9/ 255).
(2) المصدر نفسه (9/ 257).
(3) المصدر نفسه (9/ 255).
(4) المصدر نفسه.
(5) تقريب التهذيب، ص(403).
(6) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص(86).
(7) تاريخ دمشق (39/ 415)؛ عمار بن ياسر، ص(144).

فأسقطه، وإسماعيل ذاهب الحديث[1].

ويقول الدكتور يوسف العش: والرواية المنسوبة إلى سعيد بن المسيب يجب استبعادها، فهي بعد التحري تظهر موضوعة، فقد نص الحاكم النيسابوري أن أحد رجال سندها قد أسقط من السند رجلاً واهياً، وأنها منكرة، والواقع أنها لا تنبئ عن الاحترام الذي يكنه سعيد بن المسيب للصحابة في أقواله الأخرى الصحيحة[2].

3 ـ براءة عمار من دم عثمان رضي الله عنهما:

ومما يروى في ذلك اتهام مسروق وأبي موسى رضي الله عنه لعمار بذلك عند قدومه مع الحسن لاستنفار أهل الكوفة، وهذه الرواية قد وَهَي إسنادها بشعيب المجهول، وسيف المعلول، كما أن الرواية التي في صحيح البخاري لا تذكر شيئاً من ذلك، فزيادتها لا تحتمل القبول، لاسيما مع طعنها في صحابي مثل عمار بن ياسر المجار ـ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ـ من الشيطان[3]، والملىء إلى المُشاش من الإيمان[4].

وقد بيّن العلماء بطلان مثل هذا الاتهام الذي لم يختص بعمار فحسب، بل تعداه إلى مَجموعة أخرى من أجلَّة الصحابة، يقول ابن كثير: أما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة، بل كلهم كرهه ومقته وسبَّ مَن فَعَلَه[5]، ويقول القاضي أبو بكر ابن العربي: فهذا أشبه ما روي في الباب، وبه يتبين ـ وأصل المسألة سلوك سبيل أهل الحق ـ أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه، ولا قعد عنه، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة[6]، ويقول: وقد انتدبت المردة والجهلة

(1) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 16 ـ 18)، التاريخ الكبير للبخاري (1/ 203)، التهذيب (9/ 391)، تهذيب التهذيب (9/ 392).

(2) الدولة الأموية (39).

(3) البخاري، رقم (3743).

(4) عمار بن ياسر، ص(147).

(5) البداية والنهاية (7/ 207).

(6) العواصم من القواصم، ص(129).

إلى أن يقولوا: إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلباً، وبما جرى عليه راضياً، واخترعوا كتاباً فيه فصاحة وأمثال، كتب عثمان به مستصرخاً إلى عليٍّ، وذلك كل مصنوع، ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين، فالذي يُنخَل من ذلك أن عثمان مظلوم محجوج بغير حجة، وأن الصحابة بُراء من دمه بأجمعهم، لأنهم أتوا إرادته، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه[1].

ثالثاً: براءة عمرو من دم عثمان:

لما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شاء الله[2]، وعندما جاءه الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب قال عمرو: أنا أبو عبد الله تكون حربٌ، مَن حَكَّ فيه قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له. فقال سلامة بن زنباغ الجذامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد، ولا يصلح الباب إلا أشاف[3] تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فَيَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ ... أَيَصْرِفُ مالِكُ حِفْظَ القَدَرْ

أَنَزَعٌ مِنَ الحَرِّ[4] أَوْدَى بَهَمْ ... فَأَعذُرُهُم أَمْ بِقَومِي سَكَرْ

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه! أنعي الحياء والدين حتى قدم دمشق[5]...

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته، وقربه

(1) العواصم من القواصم، ص(132).
(2) تاريخ الطبري، نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان، ص(464).
(3) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.
(4) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.
(5) تاريخ الطبري، نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان، ص(481).

من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح، وصاحب مطامع وراغب دنيا، فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب[1]، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتَّاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب[2]، وعبد الخالق سيد أبو رابية[3]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد، ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: . . انتهازيان صاحبا مصالح، ولو أجمع الناقدون والمؤرخون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: . . . وليقل الناقدون والمؤرخون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق[4].

إن شخصية عمرو بن العاص رضي الله عنه الحقيقية، أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُراً حين قُتل، فقد كان من أقرب أصحابه وخلانه ومستشاريه، وكان يدخل في الشورى ـ في عهد عثمان ـ من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما ليتعاونا معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[5]، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا على حرم رسول الله ﷺ وقتلوا خليفته على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك مَن يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً: كل همِّه السلطة والحكم[6].

(1) عمرو بن العاص للغضبان، ص(481).
(2) سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، ص(508).
(3) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص(316).
(4) عمرو بن العاص للعقاد، ص(231، 232).
(5) عمرو بن العاص للغضبان، ص(489، 490).
(6) المصدر نفسه، ص(492).

رابعاً: من أقوال الصحابة في الفتنة:

1 ـ أنس بن مالك رضي الله عنه:

قيل لأنس بن مالك: إن حبَّ علي وعثمان لا يجتمعان في قلب، فقال أنس: كذبوا، لقد اجتمع حبُّهما في قلوبنا[1].

2 ـ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

عن خالد بن الربيع قال: سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه في نفر فيهم إلى المدائن، قال: ثم ذكر قتل عثمان، فقال: اللهم إني لم أشهد، ولم أقتل، ولم أرضَ[2]، وأخرج أحمد بن حنبل عن ابن سيرين عن حذيفة قال: لما بلغه قتل عثمان قال: اللهم إنك تعلم براءتي من دم عثمان، فإن كان الذين قتلوه أصابوا، فإني بريء منهم، وإن كانوا أخطأوا فقد تعلم براءتي من دمه، وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله لحلنا بذلك لبناً، وإن كانت أخطأت بقتله لتحتلبن بذلك دماً، فاحتلبوا بذلك دماً، ما رفعت عنهم السيوف ولا القتل[3].

وروى ابن عساكر عن جندب بن عبد الله ـ له صحبة ـ أنه لقي حذيفة فذكر له أمير المؤمنين عثمان فقال: أما إنهم سيقتلونه! قال: قلت: فأين هو؟ قال: في الجنة، قلت: فأين قاتلوه؟ قال: في النار[4].

3 ـ أم سليم الأنصارية رضي الله عنها:

قالت أم سليم الأنصارية رضي الله عنها: لما سمعت بقتل عثمان رحمه الله أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دماً[5].

4 ـ أبو هريرة رضي الله عنه:

وعن أبي مريم قال: رأيت أبا هريرة يوم قُتل عثمان وله ضفيرتان وهو ممسك بهما

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 25)؛ التهذيب لابن حجر (7/ 141).
(2) المصدر نفسه (2/ 27).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 28)، تاريخ دمشق، ص(388).
(4) المصدر نفسه.
(5) البداية والنهاية (7/ 195).

وهو يقول: قُتل والله عثمان على غير وجه الحق[1].

5 ـ عن أبي بكرة ﷺ:

روى ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكرة ﷺ قال: لأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أشرك في قتل عثمان[2].

6 ـ أبو موسى الأشعري ﷺ:

عن أبي عثمان النَّهدي قال أبو موسى الأشعري ﷺ: إن قتل عثمان ﷺ لو كان هدىً احتلبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالاً، فاحتلبت به دماً[3].

7 ـ سُمُرة بن جندب ﷺ:

روى ابن عساكر بإسناده إلى سمُرة بن جُنْدُب ﷺ قال: إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان، وإنهم شرطوا أشرطة، وإنهم لم يسُّدوا ثلمتهم، أو لا يسدونها إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة، فأخرجوها ولم تعد فيهم[4].

8 ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ:

وأخرج أبو نعيم في (معرفة الصحابة) بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: عثمان بن عفان ذو النورين قُتل مظلوماً أوتي كفلين من الأجر[5].

9 ـ عبد الله بن سلام ﷺ:

قال ﷺ: لا تقتلوا عثمان فإنكم إن فعلتم، لم تصلّوا جميعاً[6] أبداً، وفي رواية: والله لا تهرقون محجماً من دم ـ أي: من دم عثمان ـ إلا ازددتم به من الله بُعداً[7].

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 31)، تاريخ دمشق، ص(493).
(2) المصدر نفسه.
(3) تاريخ المدينة (4/ 1245).
(4) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 31)، تاريخ دمشق، ص(493).
(5) معرفة الصحابة (1/ 245)؛ المعجم الكبير (1/ 46).
(6) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 34)، فضائل الصحابة إسناده صحيح.
(7) الطبقات (3/ 81).

10 ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما:

عن طلق بن خشاف قال: انطلقنا إلى المدينة، ومعنا قُرط بن خيثمة، فلقينا الحسن بن علي فقال له قرط: فيم قُتل أمير المؤمنين عثمان، فقال: قتل مظلوماً[1].

11 ـ سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

وعن يزيد بن أبي عبيدة قال: لمّا قتل عثمان خرج سلمة بن الأكوع ـ وهو بدري ـ من المدينة قبل الرَّبذة، فلم يزل بها حتى كان قبيل أن يموت[2].

12 ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

فعن أبي حازم قال: كنت عند عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكر عثمان، فذكر فضله ومناقبه وقرابته؛ حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم ذكر علي بن أبي طالب، فذكر فضله وسابقته وقرابته؛ حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم قال: مَن أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليدع[3]، وقال ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً: ـ لا تسبّوا عثمان، فإنّا كنّا نعدُّه من خيارنا[4].

خامساً: أثر مقتل عثمان في حدوث فتن أخرى:

لقد كانت فتنة قتل عثمان سبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، فتغيرت قلوب الناس، وظهر الكذب، وبدأ الخط البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته[5]، وكان مقتل عثمان من أعظم الأسباب التي أوجبت الفتن بين الناس، وبسببه تفرقت الأمة إلى اليوم[6]، فتفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار وذلّ الأخيار، وسعى في الفتنة مَن كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصلاح مَن كان إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو

(1) تاريخ المدينة (4/ 145).
(2) المصدر نفسه (4/ 142).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 379).
(4) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 379)، فضائل الصحابة. إسناده صحيح.
(5) المصدر السابق نفسه، ص(590).
(6) مجموع الفتاوى (25/ 162).

أحق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل مَن بقي، لكن القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام[1].

وبدأ ضعف الفتوحات تدريجياً خلال السنين الأخيرة من خلافة عثمان، عندما بدأت الفتن تضرب بلاد الإسلام ومركز الخلافة، ثم توقفت عندما قُتل عثمان، واستمرت متوقفة ـ بل تراجعت في بعض الأماكن ـ إلى بداية عهد معاوية، حيث استقرت أحوال المسلمين فانطلقت الفتوحات شرقاً وغرباً وشمالاً[2].

سادساً: الظلم والاعتداء على الآخرين من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة:

إن الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: 59] وإن المتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان رضي الله عنه المعتدين عليه يجد: أن الله تعالى لم يمهلهم، بل أذلهم وأخزاهم، وانتقم منهم فلم ينج منهم أحداً[3].

روى خليفة بن خياط في تاريخه بإسناد صحيح إلى عمران بن الحُدير قال: إن لم يكن عبد الله بن شقيق حدثني أن أول قطرة قطرت من دمه ـ يعني عثمان ـ على ﴿نَبَكِّيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 137] ، فإن أبا حُريت ذكر أنه ذهب وسُهيلُ النميري، فأخرجوا إليه المصحف، فإذا القطرة على ﴿نَبَكِّيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 137] فإنها في المصحف ما حُكت، وفي تاريخ ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة، فإذا رجل يقول: الهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، قلت: يا عبد الله، ما سمعت أحداً يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت الله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قُتل وُضع على سريره في البيت، والناس يجيؤون، فيصلون عليه، فدخلت كأني أصلي عليه، فوجدت خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه، فلطمت وجهه، وسجيّته وقد بست يميني، قال

(1) مجموع الفتاوى (25/ 163).

(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص(591).

(3) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 483).

محمد بن سيرين: رأيتها يابسة كأنها عود[1]، ولو لم يكن من آثار ظلم هؤلاء الحاقدين إلا سلُّ المسلمين السيف عليهم إلى يوم القيامة؛ لكفى بذلك رادعاً لهم، ولكل مَن سار في فلكهم، قال القاسم بن محمد: مر عليٌّ ﷺ على رجلين بالمدينة بعدما قُتل عثمان، وقبل بيعته وهما يقولان: قتل ابن بيضاء، ومكانه من الإسلام والعرب، ثم والله ما انتطح فيه عنزان، فقال علي: ما قُلتما؟ فأعادا عليه فقال: بلى والله؛ ورجال بعد رجال، وكتائب بعد كتائب، أو يخرج ابن مريم[2].

سابعاً: تأثر المسلمين لمقتل عثمان ﷺ وما قيل من أشعار:

كان وقع المصيبة على نفوس المؤمنين عظيماً، فجللهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء على عثمان، والترحم عليه، وقام حسان بن ثابت ﷺ يرثي أمير المؤمنين ويكثر التفجع لمقتله، ويهجو قاتليه، ويَقْرَعُهُم بما كسبت أيديهم[3] فيقول:

أتَرَكْتُمُ غُزْوَ الذُّرُوبِ وَرَاءَكُمْ ... وغَزَوتُمُونَا عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدِ

فَلَبِئْسَ هَدْيُ المُسْلِمِينَ هُدِيتُمُ ... وَلَبِئْسَ أمرُ الفَاجِرِ المُتَعَمِّدِ

إنْ تُقْدِمُوا نَجْعَلْ قِرَى سَرَوَاتِكُمْ ... حَوْلَ المَدِيْنَةِ كلَّ لِينِ مِذْوَدِ[4]

أوْ تُدْبِرُوا فَلَبِئْسَ مَا سَافَرْتُمُ ... ولَمِثْلُ أمْرِ أمِيْرِكُمْ لَمْ يَرْشُدِ

وَكَأنَّ أصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةً ... بُدنٌ تُذَبَّحُ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ

أبْكِي أبَا عَمْرٍو لِحُسْنِ بَلائِهِ ... أمْسَى مُقيماً في بَقِيعِ الغَرقَدِ[5]

---

(1) سير الشهداء دروس وعبر للحياني، ص(67)، تاريخ دمشق ص(458)، تحقيق مواقف الصحابة (1/ 485).

(2) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 485)، التمهيد والبيان ص(233).

(3) سير الشهداء للحياني، ص(62).

(4) مذود: آلة الذود.

(5) تاريخ الطبري (5/ 445).

وقال حسان أيضاً:

مَاذَا أَرَدْتُمْ مِنْ أَخِي الدِّيْنِ بَارَكَتْ ... يَدُ اللَّه فِي ذَاكَ الأَدِيْمِ المُقَدَّدِ[1]

فَتَلْتُمْ وَلِيَّ اللَّه فِي جَوْفِ دَارِهِ ... وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ جَائِرٍ غَيْرِ مُهْتَدِ

فَهَلَّا رَعَيْتُمْ ذِمَّةَ اللَّه بَيْنَكُمْ ... وَأَوْفَيْتُمُ بِالْعَهْدِ عَهْدِ مُحَمَّدِ

أَلَمْ يَكُ فِيكُمْ ذَا بَلَاءٍ وَمَصْدَقٍ ... وَأَوْفَاكُمُ عَهْداً لَدَى كُلِّ مَشْهَدِ

فَلَا ظَفِرَتْ أَيْمَانُ قَوْمٍ تَبَايَعُوا ... عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ الرَّشِيْدِ المُسَدَّدِ[2]

وقال حسان أيضاً:

مَن سَرَّهُ المَوْتُ صِرْفاً لَا مِزَاجَ لَهُ ... فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً فِي دَارِ عُثْمَانَا

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ المَاذِيِّ[3] قَدْ شُفِعَتْ ... قَبلَ المَخَاطِمِ[4] بِيضٌ زَانَ أَبدَانَا

صَبْراً فِدىً لَكُمُ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ ... قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي المَكْرُوهِ أَحْيَانَا

فَقَدْ رَضِيْنَا بِأَهْلِ الشَّامِ نَافِرَةً ... وَبِالأَمِيرِ وَبِالإِخْوَانِ إِخْوَانَا

إِنِّي لَمِنْهُمْ وإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا ... مَا دُمْتُ حَيّاً وَمَا سُمِّيتُ حَسَّانَا

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكاً فِي دِيَارِهِم ... اللَّه أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا[5]

وقال أيضاً:

إِن تُمسِ دَارُ ابْنِ أَرْوَى مِنْهُ خَاوِيَةً ... بَابٌ صَرِيْعٌ وَبَابٌ مُخْرَقٌ خَرِبُ

فَقَدْ يُصَادِفُ بَاغِي الخَيْرِ حَاجَتَهُ ... فِيهَا وَيَهوِي إِلَيْهَا الذِّكْرُ وَالحَسَبُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ ... لَا يَستَوِي الصِّدْقُ عِنْدَ اللَّه وَالْكَذِبُ

قُومُوا بِحَقِّ مَلِيكِ النَّاسِ تَعْتَرِفُوا ... بِغُرَّةٍ عُصَبٌ مِن خَلْفِهَا عُصَبُ

فِيْهِم حَبِيبٌ شِهَابُ الموتِ يَقْدُمُهُم ... مُستَلْئِماً قَدْ بَدَا فِي وَجْهِهِ الغَضَبُ[6]

---

(1) الأديم المقدد: الجلد اليابس.

(2) البداية والنهاية (7/ 205).

(3) الماذيّ: خالص الحديد.

(4) المخاطم: الأنوف.

(5) تاريخ الطبري (5/ 447).

(6) حبيب بن سلمة الفهري، تاريخ الطبري (5/ 446).

وقال كعب بن مالك ﷺ:

وبِـحٌ لِأَمْـرٍ قَـدْ أَتَـانِـي رَائِـعٌ ... هـدّ الـجبـال فَـأنـغـضَـتْ بِـرُجُـوفِ
قَـتـلُ الإمَـام لـهُ الـنُّـجُـومُ خَـواضِـعٌ ... والـشَّـمـسُ بَـازِغَـةٌ لَـهُ بِـكُـسُـوفِ
يَـا لَـهْـفَ نَـفْـسِـي إذ تَـوَلَّـوا غَـدْوَةً ... بِـالـنَّـعْـشِ فَـوْقَ عَـوَاتِـقٍ وكُـتُـوفِ
وَلَّـوا وَدَلَّـوا فـي الـضَّـرِيـحِ أَخَـاهُـمُ ... مـاذا أَجَـنَّ ضَـرِيـحَـهُ الـمَـسْـقُـوفُ[1]
مِـنْ نَـائِـلٍ أو سُـؤْدُدٍ وَحـمَـالَـةٍ ... سَـبَـقَـتْ لَـهُ فِـي الـنَّـاسِ أَوْ مَـعْـرُوفِ
كَـمْ مِـنْ يَـتِـيـمٍ كَـانَ يَـجْـبُـرُ عَـظْـمَـهُ ... أَمْـسَـى بِـمَـنْـزِلَـةِ الـضَّـيَـاعِ يَـطُـوفُ
فَـرَّجْـتَـهَـا عَـنْـهُ بِـرُحْـمِـكَ بَـعْـدَمَـا ... كَـادَتْ وَأَيـقَـنَ بَـعْـدَهَـا بِـحُـتُـوفِ
مَـا زَالَ يَـقْـبَـلُـهُـمْ وَيَـرْأَبُ ظُـلْـمَـهُـمْ ... حَـتَّـى سَـمَـعْـتُ بِـرَنَّـةِ الـتَّـلْـهِـيـفِ
أمسَى مُـقِـيـمـاً بـالـبَـقِـيـعِ وأَصْـبَـحُـوا ... مُـتَـفَـرِّقِـيـنَ قَـدْ أَجْـمَـعُـوا بِـحُـفُـوفِ[2]
الـنَّـارُ مَـوْعِـدُهُـم بِـقَـتْـلِ إِمَـامِـهِـمْ ... عُـثْـمَـانَ صِـهْـرِ فـي الـبِـلادِ عَـفِـيـفِ
جَـمَـعَ الـحَـمَـالَـةَ[3] بَـعْـدَ حِـلْـمٍ رَاجِـحٍ ... وَالـخَـيْـرُ فـيـهِ مُـبَـيَّـنٌ مَـعْـرُوفُ
يَـا كَـعْـبُ لا تَـنْـفَـكَّ تَـبْـكِـي هَـالِـكـاً ... مـا دُمْـتَ حَـيّـاً فِـي الـبِـلادِ تَـطُـوفُ

وقال كعب أيضاً:

فَـكَـفَّ يَـدَيْـهِ ثُـمَّ أَغْـلَـقَ بَـابَـهُ ... وَأَيـقَـنَ أَنَّ الـلَّـهَ لَـيْـسَ بِـغَـافِـلِ
وَقَـالَ لأَهْـلِ الـدَّارِ لَا تَـقْـتُـلُـوهُـمْ ... عَـفَـا الـلَّـهُ عَـنْ كُـلِّ امـرِئٍ لَـمْ يُـقَـاتِـلِ
فَـكَـيْـفَ رَأَيْـتَ الـلَّـهَ صَـبَّ عَـلَـيْـهِـمُ ... الـعَـدَاوَةَ وَالـبَـغْـضَـاءَ بَـعْـدَ الـتَّـوَاصُـلِ؟
وَكَـيْـفَ رَأَيْـتَ الـخَـيْـرَ أَدْبَـرَ بَـعْـدَهُ ... عَـنِ الـنَّـاسِ إدبَـارَ الـنَّـعَـامِ الـجَـوَافِـلِ؟[4]

(1) التمهيد والبيان، ص(210).
(2) التمهيد والبيان، ص211.
(3) التمهيد والبيان، ص211.
(4) البداية والنهاية (7/ 205).

obeikandl.com

وقال راعي الإبل النميري في ذلك:

عَشِيَّةَ يَدْخُلونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ... عَلَى مُتَوَكِّلٍ أَوفَى وَطَابَا
خَلِيلُ مُحَمَّدٍ ووَزِيرُ صِدْقٍ ... وَرَابِعُ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ التُّرَابَا[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(1) أي: خير مَن وطئ التراب في أمة محمد ﷺ بعد رسول الله ﷺ ثم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان. البداية والنهاية (7/ 206).

obeikandl.com

obeikandl.com

الخلاصة

1 ـ كان ﷺ في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه فهو عريض الجاه ثريٌّ، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه، لم يجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة قط، فلم يشرب الخمر في الجاهلية.

2 ـ كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصدِّيق إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تلكُّؤ أو تلعثم، بل كان سبّاقاً أجاب على الفور دعوة الصدِّيق، فكان بذلك من السابقين الأولين.

3 ـ فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحاً شديداً، وتوثقت بينه وبينهم عُرى المحبة وأخوة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله ﷺ رقية.

4 ـ إن سنّة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنّة في الصحابة الكرام، وتحملوا من البلاد ما تنوء به الرواسي الشامخات، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء، فقد أوذي عثمان وعذب في سبيل الله تعالى على يدي عمه الحكم بن أبي العاص.

5 ـ منذ اليوم الذي أسلم فيه عثمان لزم النبي ﷺ حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه، أو في مهمة من المهام التي يندب لها، ولا يغني فيها أحد غناءه، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الراشدين جميعاً، كأنما هي خاصة من خواصِّهم رشحهم لها ما رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين.

6 ـ كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الكبرى من سنتها الأولى، فلم يفته من أخبار النبوة الخاصة والعامة في حياة النبي ﷺ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية.

7 ـ كان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان، وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين.

8 ـ إن الرافد القوي الذي أثَّر في شخصية عثمان بن عفان وصقل مواهبه، وفجَّر طاقته، وهذّب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ، وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه، كما لازمه في المدينة بعد هجرته، فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديها، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.

9 ـ لم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه بتغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ، لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان رضي الله عنه خرج فيمن خرج مع رسول الله ﷺ فردّه ﷺ للقيام على ابنته، فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله وتخلُّفه، وقد ضرب له بسهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده لهما.

10 ـ في الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور منها؛ اختصاصه بإقامة يد النبي الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النبي ﷺ لعثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة.

11 ـ قبل رسول الله ﷺ شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة.

12 ـ من حياة عثمان رضي الله عنه الاجتماعية في المدينة؛ زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، بعد وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ، ووفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أم كلثوم رضي الله عنهما.

13 ـ من مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة؛ شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان رضي الله عنه للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكثير على جيش العسرة.

14 ـ وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه، منها ما ورد في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضله وحده، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان.

15 ـ كان عثمان رضي الله عنه من الصحابة وأهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في عهد الصدِّيق، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصدِّيق، فعمر بن الخطاب للحزم والشدائد، وعثمان للرفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصِّدِّيقية وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم، وكاتبها الأكبر.

16 ـ كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رَمَوه بعثمان، وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يسمى الرديف ـ والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء ثلثوا بالعباس.

17 ـ من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزله نفسه من الأمر وقت الشُّورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان.

18 ـ هناك أباطيل ضالة وأكاذيب كثيرة دست في التاريخ الإسلامي في قصة الشورى، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحصوا الروايات، ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين.

19 ـ جاءت الأدلة الكثيرة التي تشير وتنبه إلى أحقية عثمان رضي الله عنه بالخلافة، ولا نزاع عند المتمسكين بالكتاب والسنّة في ذلك، وقد أجمع أصحاب رسول الله، وكذا من جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنّة والجماعة على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أحق الناس بخلافة النبوة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

20 ـ عندما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة قام في الناس خطيباً وأعلن عن نهجه السياسي؛ مبيناً أنه سيتقيد بالكتاب والسنّة وسيرة الشيخين، كما أنه أشار في خطبته إلى سياسة الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبه من الحدود، ثم حذرهم من الركون إلى الدنيا والافتتان بحطامها خوفاً من التنافس والتباغض والتحاسد

بينهم، مما يفضي بالأمة إلى الفرقة والخلاف.

21 ـ إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف ﷺ بصفات القائد الرباني؛ من العلم والقدرة على التوجيه والتعليم، والحلم، والسماحة واللين، والعفو، والتواضع، والحياء، والعفة، والكرم، والشجاعة، والحزم، والصبر، والعدل، والعبادة، والخوف، والبكاء، والمحاسبة، والزهد، والشكر، وتفقد أحوال الناس، وتحديد الاختصاصات، والاستفادة من أهل الكفاءات.

22 ـ إن معرفة صفات الخلفاء الراشدين ومحاولة الاقتداء بهم، خطوة صحيحة لمعرفة صفات القادة الربانيين الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة.

23 ـ قامت سياسة عثمان المالية على الأسس التالية: تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية، عدم إخلال الجباية بالرعاية، أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين، وأخذ ما على أهل الذمة لبيت مال المسلمين بالحق، وإعطائهم ما لهم وعدم ظلمهم، وتخلق عمال الخواج بالأمانة والوفاء، وتفادي أية انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة.

24 ـ كانت النفقات في عهد عثمان تصرف على: صرف مرتبات الولاة، ومرتبات الجند، وعلى أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعيبة إلى جدة، وحفر الآبار، والإنفاق على المؤذنين، وغيرها من الأمور.

25 ـ اتهم عثمان ﷺ من قبل الغوغاء والخوراج بإسرافه في بيت المال وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد ساند هذا الاتهام حملة دعائية باطلة قادها السبئيون وتلقفها الشيعة الروافض إلى يومنا هذا، وتسرَّبت في كتب التاريخ، وتعامل المفكرون والمؤرخون على كونها حقائق، وهي باطلة لم تثبت لأنها مختلفة.

26 ـ يعتبر عهد ذي النورين امتداداً للعهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة، والجانب القضائي فيه خاصة، امتداداً للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

27 ـ كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم وتمثلت في الآتي: إخضاع

المتمردين من الفرس والروم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك.

28 ـ كانت معسكرات الإسلام ومسالحه[1] في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق في الكوفة والبصرة، ومعسكر الشام في دمشق، بعد أن خلص الشام كله لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر وكان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام ومواصلة الفتوحات ونشر الإسلام.

29 ـ من أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان رضي الله عنه؛ الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

30 ـ كانت معركة ذات الصواري من مظاهر تفوق العقيدة الصحيحة الصلبة على الخبرة العسكرية والتفوق في العدد والعُدد، فلقد كان الروم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مروا بتجارب طويلة في الحروب البحرية، بينما كان المسلمون حديثي عهد بركوب البحر والقتال البحري.

31 ـ من أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ تحقق وعد الله بالنصر والتمكين للمؤمنين، التطور في فنون الحرب والسياسة، ركوب المسلمين البحر، جمع المعلومات عن الأعداء، الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو.

32 ـ يظهر من قصة جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه مدى فهم الصحابة رضي الله عنهم لآيات النهي عن الاختلاف، حيث إن الله نهى عن الاختلاف وحذر منه، فلعمق فهمهم لهذه الآيات ارتعد حذيفة رضي الله عنه عندما سمع بوادر الاختلاف في قراءة القرآن، فرحل فوراً إلى المدينة النبوية، وأخبر عثمان رضي الله عنه بما رأى وبما سمع، وفي مدة

(1) مسالحه: ثغوره.

قصيرة حسم عثمان الأمر وأغلق باب الخلاف.

33 ـ إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، وهذه الخطوة مهمة في إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلى في أبهى صورة في جمع عثمان رضي الله عنه للأمة على مصحف واحد.

34 ـ كانت أقاليم الدولة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه كل من: مكة، والمدينة، والبحرين واليمامة، اليمن وحضرموت، والشام، وأرمينية، ومصر، والبصرة والكوفة.

35 ـ اتخذ عثمان رضي الله عنه أساليب متنوعة لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم منها؛ حضوره لموسم الحج، سؤال القادمين من الأمصار والولايات، إرسال المفتشين إلى الولايات، استقدام الولاة وسؤالهم وغير ذلك من الأساليب.

36 ـ من حقوق الولاة في العهد الراشدي؛ الطاعة في غير معصية الله، بذل النصيحة للولاة، إيصال الأخبار الصحيحة إليهم، احترامهم بعد عزلهم، وإعطاؤهم مرتباتهم.

37 ـ من واجبات الولاة في العهد الراشدي: إقامة أمور الدين، تأمين الناس في بلادهم، الجهاد في سبيل الله، بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس، تعيين العمال والموظفين، رعاية أهل الذمة، مشاورة أهل الرأي في ولايتهم، النظر في حاجة الولاية العمرانية، مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية.

38 ـ إن عثمان خليفة راشد يُقتدى به، وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج عن تقريب الأقربين، فكان عثمان سن لمن بعده تقريب الأقربين إذا كانوا في كفاءتهم الإدارية، وكل ما أُنكر على عثمان لا يخرج من دائرة المباح.

39 ـ إن الولاة الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية في عهد الصدِّيق والفاروق رضي الله عنهما.

openkandil.com

40 ـ إن الذي يرجع إلى الصحيح المحض من وقائع التاريخ، ويتتبع سيرة الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين عثمان، وما كان لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية، بل ما كان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها؛ فإنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب والفجر كلما أمعن في دراسة ذلك الدور من أدوار التاريخ الإسلامي.

41 ـ إن عثمان رضي الله عنه لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضعيفة والرافضية، وبنوا أحكاماً باطلة وجائرة في حق عثمان؛ مثل طه حسين في كتابه: الفتنة الكبرى، وراضي عبد الرحيم في كتابه: النظم الإسلامية، ومحمد الريس في كتابه: النظريات السياسية، وعلي حسين الخربوطلي في كتابه: الإسلام والخلافة، وأبي الأعلى المودودي في كتابه: الملك والخلافة، وسيد قطب في كتابه: العدالة الاجتماعية وغيرهم. لقد كان عثمان رضي الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذي افترى عليه خصومه الأولون، ولم ينصفه المتأخرون.

42 ـ إن الحقيقة التاريخية تقول إن عثمان رضي الله عنه لم ينف أبا ذر رضي الله عنه إنما استأذنه، فأذن له، ولكن أعداء عثمان رضي الله عنه كانوا يشيعون عليه بأنه نفاه.

43 ـ إن أبا ذر رضي الله عنه لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بآراء عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد أقام بالربذة حتى توفي، ولم يحضر شيئاً مما وقع من الفتن.

44 ـ من أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه أمور عدة منها؛ الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان رضي الله عنه، مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله ابن سبأ في الفتنة.

45 ـ كانت بداية اشتعال الفتنة بالكوفة، وقد تم نفي رجالها إلى الشام، ثم استقر أمرهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالجزيرة، ثم رجعوا إلى الكوفة بعد

مكاتبة يزيد بن قيس لهم بالمجيء للكوفة.

46 ـ كانت سياسة عثمان رضي الله عنه في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد اتخذ عدة أساليب لمواجهتها منها، إرسال لجان تفتيش وتحقيق، كتب إلى أهل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين، مشورة عثمان لولاة الأمصار، إقامة الحجة على المتمردين، الاستجابة لبعض مطالبهم.

47 ـ إن المتأمل في هدي عثمان رضي الله عنه، في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده، يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم على مواجهة الفتن، ومن هذه الضوابط: التثبت، لزوم العدل والإنصاف، الحلم والأناة، الحرص على ما ينفع ونبذ ما يفرق بين المسلمين، لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، استشارة العلماء الربانيين، الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن.

48 ـ يظهر للباحثين أن هناك أسباباً دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال وهي: العمل بوصية الرسول ﷺ التي سارّه بها وبيَّنها عثمان رضي الله عنه يوم الدار، وأنها عهد عُهِد به إليه، وأنه صابر نفسه عليه، كره أن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك دماء المسلمين، علمه بأن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين وأحب أن يقيهم بنفسه، علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيقتل مصطبراً بالحق معطيه في فتنة، العمل بمشورة ابن سلام رضي الله عنه له إذ قال له: الكفَّ، الكف فإنه أبلغ لك في الحجة.

49 ـ إن قاتل عثمان رضي الله عنه رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بمشاقصه، فهذا باطل، والروايات بذلك رواياتٌ ضعيفة، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري.

50 ـ إن الصحابة جميعاً رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، وقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده كما أوردنا ذلك بالروايات الصحيحة.

51 ـ إن عثمان كان متيقظاً ولم تنطل عليه المؤامرة ولا أهدافها، بل استطاع أن

يخترق صفوف المتمردين، ويكشف مخططهم كاملاً، وواجه الأحداث بشجاعة فائقة، وكره أن يكون أول من يسل السيف في المسلمين، وآثر أن يفدي الأمة بنفسه وهذه قمة التضحية والإيثار.

52 ـ كانت فتنة مقتل عثمان سبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تليها، فتغيرت قلوب الناس، وظهر الكذب وبدأ الخط البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته.

53 ـ إن الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: 59] . وإن المتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان رضي الله عنه المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يهملهم، بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم فلم ينج منهم أحد.

54 ـ كان وقع المصيبة على نفوس المسلمين فذهلت عقولهم، وجلّلهم الحزن وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء على عثمان والترحم عليه، وقام حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي أمير المؤمنين ويكثر التفجُّع لمقتله، ويهجو قاتليه، بقصائد مبكية حزينة، حفظها لنا التاريخ، ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن، ولا أسوار القرون.

55 ـ وبعد... فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل، تضمنتها فصول هذا الكتاب (عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره) فما كان فيه من صواب، فهو محض فضل الله عليّ فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً على بيان الحقائق والبراهين والأدلة التي تبين حقيقة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى.

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10] .

وبقول الشاعر:

إنْ تَجِدْ عَيْباً فَسُدَّ الخَلَلَا ... جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيْهِ وَعَلَا

وبقول الشاعر:

اطْلُبِ العِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا ... أَبْعَدَ الخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلْ

احْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا ... تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَحَوَلْ

وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يَعْرِفِ المَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلَّابي

8 ربيع الثاني 1423هـ الموافق 18/ 6/ 2002م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

obeikandl.com

تعريف ببعض المناطق التي ذكرت في البحث[1]

1 ـ طبرستان: منطقة تقع جنوب بحر قزوين عاصمتها مدينة همدان، جاء اسمها من جمع كلمة «طبر» التي تعني في اللغة الفارسية الفأس مع زنان التي تعني النساء.

2 ـ أذربيجان: أصل الكلمة أتروباتن، التي تعني أرض النار، تقع هذه المنطقة غرب بحر قزوين، عاصمتها مدينة «أردبيل».

3 ـ أرمينيا: صقع كبير يقع شرق آسيا الصغرى جنوب البحر الأسود، جاءت تسميتها من سكانها الأرمن، وهم قبائل هندية وأوروبية اعتنقوا النصرانية في بداية القرن الرابع الميلادي، بعد ذلك تحولوا إلى المذهب المنوفيستي (أصحاب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام)، كان سكانها قد قاوموا الفتح الإسلامي لبلادهم وبقوا محافظين على ديانتهم النصرانية.

4 ـ طخارستان: إقليم يقع جنوب غرب بلاد ما وراء النهر عاصمتها «بلخ»، تقع غالبية أراضيها حالياً ضمن أفغانستان، أهم مراكزها اليوم «قندز» و«خوست».

5 ـ خراسان: معناها مشرق الشمس، تقع شرق الهضبة الإيرانية، عاصمتها مرو.

6 ـ سجستان: منطقة تقع جنوب إقليم خراسان، عاصمتها «بست»، جاء اسمها من سكنة قوم فيها يدعون بالساكا (الاسكيين)، أما الترجمة الحرفية لها فتعني أرض الكلاب على أساس أن «سك» تعني الكلاب في اللغة الفارسية، واستان المنطقة وحالياً تدعى «سيستان».

7 ـ بلاد ما وراء النهر: وهي الأراضي الواقعة ما بين نهري جيحون (آموداريا) وسيحون (سرداريا)، ومن مدنها بخارى وسمرقند وطشقند، وحالياً تقع ضمن جمهوريات تركمنستان وأوزبيكستان وطاجيكستان.

8 ـ جرجان: إقليم يقع شرق بحر قزوين، وكان اسمها سابقاً أقليم باكتريا حيث بشّر

(1) التعريف بهذه المناطق قام به الدكتور فرست مرعي الدعوكي جزاه الله خيراً.

فيه زرادشت بدعوته.

9 ـ خوزستان: إقليم يقع جنوب غرب الهضبة الإيرانية يحادد العراق العربي، قصبتها الأهواز، أطلق عليها العرب اسم إقليم عربستان، سيطر عليه الشاه رضا بهلوي سنة (1925م) بعد أن اعتقل حاكمها العربي الشيخ خزعل الكعبي، وهي مشهورة بالنفط.

obeikandl.com

المصادر والمراجع

1 - أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة 1403هـ - 1983م.

2 - أثر التشيع على الروايات التاريخية، د.عبد العزيز نور ولي، دار الخضيري، المدينة، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.

3 - أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، عبد العزيز صغير دخان، تحت الطبع.

4 - الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

5 - أدب صدر الإسلام، واضح الصمد.

6 - الأدب في الإسلام في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د.نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م.

7 - الأساس في السنّة وفقهها، والسيرة النبوية، سعيد حوَّى، دار السلام، الطبعة الأولى 1409 - 1989م.

8 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، أبي الحسن بن علي بن محمد الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.

9 - أشهر مشاهير الإسلام، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة 1403هـ - 1983م.

10 - أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلّو، جاسم محمد الرجب، بغداد مكتبة المثنى 1367هـ - 1947م.

11 - أصول مذهب الشيعة الإمامية، ناصر بن عبد الله الغفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1418هـ - 1998م.

12 - أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم

openkandil.com

الكتب، الطبعة الأولى 1421هـ ـ 2000م.

13 ـ أعلام المسلمين لخالد البيطار.

14 ـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1997م.

15 ـ الأموال لأبي عبيد.

16 ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الميلاد إلى الاستشهاد، د.أحمد السيد يعقوب السيد يوسف الرفاعي، دار الفضيلة، القاهرة.

17 ـ الأمين ذو النورين، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م.

18 ـ الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت، الناشر محمد أمين دمج، 1400هـ ـ 1980م.

19 ـ أوليَّات الفاروق، د.غالب عبد الكافي القرشي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الأولى 1403هـ ـ 1983م.

20 ـ الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية 1975م.

21 ـ الإتقان للسيوطي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1987م.

22 ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1996م.

23 ـ الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية... نشأتها وتطورها، الدكتور سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، جامعة أم القرى، معهد البحوث وإحياء التراث.

24 ـ إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، عبد العزيز المحمد السلمان، مطابع الخالد، الرياض، الطبعة الأولى 1406هـ.

openkanar.com

25 ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ ـ 1995م.

26 ـ الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصدِّيق، د.علي محمد الصَّلَّابيّ، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى 1421هـ ـ 2000م.

27 ـ الاجتهاد في الفقه الإسلامي، عبد السلام السُّليمانيُّ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، طبعة 1417هـ ـ 1996م.

28 ـ استشهاد عثمان، ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية، د.خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، 1418هـ.

29 ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1992م.

30 ـ الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي.

31 ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين ابن تيمية، تحقيق د.ناصر العقل، طبع مطابع العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى 1404هـ.

32 ـ البحرين في صدر الإسلام، وأثرها في حركة الخوارج، عبد الرحمن عبد الكريم النجم، دار الحرية، بغداد 1973م.

33 ـ البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الريان، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1988م.

34 ـ البيان والتبيين، للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، 1388هـ ـ 1968م.

35 ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول والخلفاء الراشدين، د.جميل عبد الله المصري، الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1487م.

36 ـ تاريخ ابن خلدون، دار النفائس، الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1999م.

37 ـ تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1987م.

obeikandl.com

38 ـ تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1987م.

39 ـ التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د.عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1998م.

40 ـ تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، الطبعة السادسة 1373هـ ـ 1954م.

41 ـ تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1934م.

42 ـ تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد: مطبعة المعارف 1388هـ ـ 1969م.

43 ـ تاريخ القضاء في الإسلام، د.محمد الزحيلي، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ ـ 1995م.

44 ـ تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.

45 ـ تاريخ المدينة، أبو زيد بن شبّه النميريُّ البصريُّ، تحقيق محمود شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، المدينة 1393هـ.

46 ـ تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة 1400هـ ـ 1980م.

47 ـ تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، حسن سليمان محمود، الطبعة الأولى، بغداد 1969م.

48 ـ تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، دار القلم، بيروت 1397هـ.

49 ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر، ترجمة عثمان رضي الله عنه، تحقيق سكينة الشهابي، نشر المجلس العلمي بدمشق 1984م.

50 ـ تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي الصَّلَّابِّي، دار الصحابة، الطبعة الأولى 1421هـ.

51 ـ التبيين في أنساب القريشيين، **موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حققه محمد نايف الدليمي، عالم الكتب، الطبعة الثانية.**

52 ـ تجريد أسماء الصحابة، **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين، طبعة شرف الدين الكتبي وأولاده بومباي: الهند، 1389هـ.**

53 ـ تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، **محمد عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.**

54 ـ تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، **تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى 1415هـ ـ 1994م.**

55 ـ تذكرة الحفاظ، **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.**

56 ـ التربية القيادية، **منير الغضبان، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1998م.**

57 ـ تفسير القرطبي، **لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصار، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1965م.**

58 ـ التفوق والنجابة على نهج الصحابة، **حمد بن بيله بن مرهان العجمي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى.**

59 ـ تقريب التهذيب، **لابن حجر.**

60 ـ التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، **محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة الدوحة، الطبعة الأولى 1405هـ ـ 1985م.**

61 ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، في القرن الأول الهجري، **صالح العلي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت 1969م.**

62 ـ تهذيب ابن عساكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ ـ 1987م.

63 ـ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، دار صادر، بيروت.

64 ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية 1410هـ ـ 1990م.

65 ـ الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند 1372هـ.

66 ـ جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1382هـ.

67 ـ جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د.محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، الطبعة الخامسة 1416هـ ـ 1995م.

68 ـ حذيفة بن اليمان، إبراهيم العلي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1996م.

69 ـ حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل، الطبعة الأولى 1400هـ ـ 1980م.

70 ـ حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد بن سالم، دار المنار، 1415هـ ـ 1994م.

71 ـ الحضارة العربية في الإسلام، د.واضح الصمد، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان.

72 ـ حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان الإسكندرية.

73 ـ الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1992م.

74 ـ حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

75 ـ الخراج لأبي يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع.

76 ـ الخراج وصناعة الكتابة، أبو الفتوح قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، شرح وتحقيق د.محمد حسين الزبيدى، دار الرشيد، بغداد 1981م.

77 ـ الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1996م.

78 ـ الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرداوي، الطبعة الأولى، 1403هـ ـ 1983م.

79 ـ خلافة عثمان بن عفان، د.محمد بن صامل السُّلمي، مكتبة سالم، العزيزية، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1419هـ.

80 ـ الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، المستشار سالم البهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية 1418هـ ـ 1997م.

81 ـ الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث، د.أمين القضاة، دار الفرقان، الأردن، طبعة الفرقان الأولى 1420هـ ـ 2000م.

82 ـ الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ ـ 1995م.

83 ـ الخلفاء الراشدون، حسن أيوب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م.

84 ـ الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1406هـ ـ 1986م.

85 ـ الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، د.حسن فاضل زغين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد طبعة 1989م.

86 ـ الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.

87 ـ دراسات في الأهواء والفرق والبدع، وموقف السلف منها، د.ناصر بن عبد الكريم، مركز دار إشبيليا، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م.

88 ـ دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د.عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1999م، دار الفكر المعاصر ـ صنعاء.

obeikandl.com

89 ـ الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة بغداد 1969م، وداد علي القزاز.

90 ـ دماء على قميص عثمان بن عفان، دار البشير، الطبعة الأولى 1421هـ ـ 2001م.

91 ـ الدوحة النبوية، د.فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 2000م.

92 ـ دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، تأليف أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام بمصر، الطبعة الأولى 1421هـ ـ 2001م.

93 ـ الدولة الأموية المفترى عليها، دراسة الشبهات ورد المفتريات، د.حمدي شاهين، دار القاهرة للكتاب، 2001م.

94 ـ الدولة الأموية، يوسف العش، دار الفكر، الطبعة الثانية 1406هـ 1985م.

95 ـ الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د.حمدي شاهين، دار القاهرة.

96 ـ الدولة والسيادة، د.فتحي عبد الكريم مكتبة وهبة، بمصر، الطبعة الثانية 1404هـ ـ 1984م.

97 ـ الدين الخالص، محمد صديق حسن القنوجي البخاري، تحقيق محمد زهري النجار، مكتبة الفرقان.

98 ـ ديوان أعشى همدان، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، تحقيق د.حسن عيسى أبو ياسين، الرياض، دار العلوم، 1403هـ ـ 1983م.

99 ـ ذات الصواري، شوقي أبو خليل، دار الفكر، الطبعة الرابعة 1400هـ ـ 1980م.

100 ـ ذو النورين عثمان بن عفان، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1402هـ ـ 1982م، بيروت ـ لبنان.

101 ـ ذو النورين عثمان بن عفان، محمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، 1410هـ ـ 1989م.

obeikandl.com

102 ـ الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، الدار السلفية، بومباي الهند، الطبعة الأولى 1403هـ.

103 ـ الرقة والبكاء، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية 1422هـ ـ 2001م.

104 ـ الروض الأنف، في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، طبعة 1387هـ.

105 ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة، القاهرة.

106 ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القـ ـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة 1406هـ.

107 ـ الزهد للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت 1409هـ ـ 1988م.

108 ـ سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، ودار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1996م.

109 ـ سنن أبي داود، الإمام أبو داود، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، سوريا 1391هـ.

110 ـ سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

111 ـ سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر 1398هـ.

112 ـ السنن الكبرى، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف، الرياض.

113 ـ السنّة والبدعة، عبد الله باعلوي الحضرمي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، طبعة دار القلم، الطبعة الأولى 1413هـ ـ 1992م.

114 ـ السنّة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلّال، تحقيق د.عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى 1410هـ.

obeikandl.com

115 ـ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1385هـ ـ 1965م.

116 ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أحمد بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة 1969م.

117 ـ السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب إبراهيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.

118 ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1402هـ.

119 ـ سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار الوطن، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1999م.

120 ـ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة، د.محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1417هـ ـ 1996م.

121 ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د.مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1999م.

122 ـ السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية 1417هـ ـ 1997م.

123 ـ السيرة النبوية، دروس وعبر، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة التاسعة 1406هـ ـ 1986م.

124 ـ السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، د.علي محمد الصَّلَّابي، دار الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى 2001م.

125 ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.

126 ـ شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، طبعة 1401هـ ـ 1981م.

127 ـ الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، د.علي محمد الصَّلَّابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2001م.

128 ـ شعراء الخلفاء، نبال تيسير الخماش.

129 ـ شهيد الدار عثمان بن عفان، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمار، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م.

130 ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين ابن تيمية.

131 ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة بدون تاريخ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.

132 ـ صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ ـ 1991م.

133 ـ صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى، 1417هـ ـ 1996م.

134 ـ صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة 1408هـ ـ 1998م.

135 ـ صحيح النسائي للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة، 1408هـ ـ 1988م.

136 ـ صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة 1408هـ ـ 1988م.

137 ـ صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى 1408م.

138 ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1972م.

139 ـ الصدِّيقة بنت الصدِّيق، للعقاد، مطبعة المعارف، مصر 1943م.

140 ـ صفة الصفوة للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

openkanal.com

141 ـ صلاح الأمة في علو الهمة، د.سيد بن حسين العفاني، دار الرسالة، الطبعة الأولى، 1417هـ ـ 1997م.

142 ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

143 ـ الطبقات الكبرى، محمد سعيد بن منيع الهاشمي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

144 ـ عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ ـ 1971م.

145 ـ عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة 1412هـ.

146 ـ عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1410هـ ـ 1990م.

147 ـ عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ضياء الدين الريس، مطابع سجل العرب، الطبعة الثالثة، سنة 1969م.

148 ـ عثمان بن عفان، الخليفة الشاكر الصابر، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى، 1412هـ ـ 1991م.

149 ـ عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية الطبعة الثالثة، 1410هـ ـ 1990م.

150 ـ عثمان بن عفان، محمد حسنين هيكل.

151 ـ العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1999م.

152 ـ عصر الخلافة الراشدة، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى 1414هـ ـ 1994م.

153 ـ عصر الخلفاء الراشدين، د.عبد الحميد بخيت، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية 1965م.

obeikandl.com

154 ـ عقائد الشيعة، رونلدسن، دوايت تعريب (ع.م) القاهرة، مكتبة الخانجي 1365هـ ـ 1946م.

155 ـ العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب، دار الفكر، بيروت.

156 ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية، للشيخ إسماعيل الصابوني، نشر محمد أمين دمج، بيروت، 1970م.

157 ـ عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام، د.ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض.

158 ـ العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د.سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 2000م.

159 ـ العقيدة والشريعة الإسلامية جولد تسهير، أجناس ترجمة د.محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

160 ـ عمار بن ياسر، رجل المحنة وميزان الفتنة، أسامة محمد سلطان، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 1999م.

161 ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري.

162 ـ عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د.منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى 1420هـ.

163 ـ عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1988م.

164 ـ عمرو بن العاص، محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية 1969م.

165 ـ العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيِّض، دار الثقافة، قطر، الدوحة، الطبعة الثانية 1989م.

166 ـ غزوة الحديبية لأبي فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن.

167 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى 1407هـ.

168 ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، 1403هـ ـ 1983م.

169 ـ الفتنة الكبرى، عثمان، طه حسين، دار المعارف بمصر، 1947م.

170 ـ الفتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر، 1966م.

171 ـ فتنة مقتل عثمان، د.محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1999م.

172 ـ الفتنة، أحمد عرموش.

173 ـ فتوح البلدان، لأبي العباس، أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1407هـ ـ 1987م.

174 ـ فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، نسخة عن طبعة لندن، 1339هـ ـ 1920م، نشر مكتبة المثنى، بغداد.

175 ـ فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998م.

176 ـ فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، محمد صالح الغرسي، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى 1416هـ ـ 1996م.

177 ـ الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر.

178 ـ فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية 1420هـ ـ 1999م.

179 ـ فقه الأولويات محمد الوكيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الطبعة الأولى 1416هـ ـ 1997م.

180 ـ فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، د.عبد الرزاق أحمد السنهوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2001م.

181 ـ الفكر الإسلامي بين المثالية والتطبيق، كامل الشريف.

182 ـ فيض القدير للمناوي.

183 ـ قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998م.

184 ـ قادة فتح السند وأفغانستان، محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998م.

185 ـ قادة فتح بلاد المغرب، محمود شيت خطاب، دار الفكر، الطبعة السابعة 1404هـ ـ 1984م.

186 ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

187 ـ القواعد الفقهية مفهومها ـ تطورها ـ دراسة مؤلفاتها ـ أدلتها ـ تطبيقاتها، علي محمد الندوي، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى 1406هـ ـ 1986م.

188 ـ القيود الواردة على سلطة الدولة، عبد الله الكيلاني، دار البشير، عمان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1418هـ 1997م.

189 ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1989م.

190 ـ الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد، الناشر البابي الحلبي، مصر، مؤسسة الرسالة، طبعة 1356هـ ـ 1937م.

191 ـ كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1422هـ ـ 2001م.

192 ـ الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، د.عبد الله قادري، دار المجتمع، جدة 1406هـ ـ 1986م.

193 ـ كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ محمد قطب، دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى 1412هـ.

194 ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

obeikandl.com

195 ـ لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، **حيدرآباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية 1331هـ ـ 1912م.**

196 ـ ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، **د.صالح مصطفى مفتاح المزيني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1994م.**

197 ـ مبادئ الاقتصاد الإسلامي، **سعاد إبراهيم صالح، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1997م.**

198 ـ كتاب المجروحين من المحدثين، **أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق إبراهيم محمود زايد، دار الوعي، حلب.**

199 ـ مجلة البحوث الإسلامية، **العدد العاشر.**

200 ـ مجلة المؤرخ العربي، **رقم 21.**

201 ـ مجمع الأمثال للميداني، **تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1374هـ ـ 1955م.**

202 ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، **نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ.**

203 ـ مجموعة الفتاوى، **تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، دار الوفاء، الطبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م.**

204 ـ مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، **محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة 1405هـ ـ 1985م.**

205 ـ المدينة المنورة، فجر الإسلام والعصر الراشدي، **محمد محمد حسن شُرّاب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ ـ 1994م.**

206 ـ مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، **يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى 1410هـ.**

207 ـ مرويات العهد المكي، **عادل عبد الغفور.**

208 ـ مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، **خالد الغيث، دار الأندلس الخضراء،**

جدة، الطبعة الأولى 1420هـ ـ 2000م.

209 ـ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1411هـ ـ 1990م.

210 ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

211 ـ المعارف لابن قتيبة.

212 ـ معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير، وملك مجاهد، منير محمد الغضبان، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1417هـ ـ 1996م.

213 ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت 1397هـ ـ 1977م.

214 ـ معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية 1406هـ ـ 1985م.

215 ـ معرفة الصحابة لأبي نعيم المتوفى سنة 430هـ تحقيق محمد راضي ابن حاج عثمان، مكتبة الدار في المدينة النبوية، ومكتبة الحرمين في الرياض، الطبعة الأولى 1408هـ.

216 ـ المعرفة والتاريخ للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد 1394هـ.

217 ـ المغازي، محمد عمر الواقدي، تحقيق د.مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة 1404هـ ـ 1984م.

218 ـ المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق د.عبد الله التركي، د.عبد الفتاح الحلو، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى 1412هـ.

219 ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.

220 ـ مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث، طبع دار النصر، الطبعة الأولى 1391هـ.

221 ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

222 ـ منهاج السنّة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

223 ـ منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة 1403هـ ـ 1983م.

224 ـ منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه، د.السيد محمد نوح، نشرته جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 1411هـ ـ 1990م.

225 ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق حسين الداراني عبده كوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى 1411هـ.

226 ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط للمقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين أبو العباس المقريزي.

227 ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة عشرة، 1996م.

228 ـ الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالسعودية، الطبعة الثانية 1420هـ ـ 1999م.

229 ـ موسوعة فقه عثمان بن عفان د.محمد روّاس قلعةجي، دار النفائس طبعة 1404هـ ـ 1983م.

230 ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى 1382هـ.

231 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بدون تاريخ.

232 ـ نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

233 ـ نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره: محمد السايس، مطبعة الأزهر 1387هـ ـ 1967م مجمع البحوث بالأزهر، المؤتمر الرابع.

234 ـ نظام الأراضي في صدر الدولة الإسلامية، محمد حسن أبو يحيى، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1988م.

235 ـ نظام الحكم في الإسلام، عارف أبو عيد، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى